مظاهر الثورة فى شعر أبى القاسم الشابى
دراسة فنية

إعداد الدكتور

عاطف عبداللطيف السيد

أستاذ مساعد بقسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية ــ فرع الزقازيق

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن من يقرأ شعر أبى القاسم الشابى بصفة عامة ، وديوان (أغانى الحياة) بصفة خاصة يجد بين دفتيه الحزن المخيم على قصائده ، وقد عبر الشاعر عن حزنه وألمه تعبيرا صادقا وصريحا، وتخير الألفاظ والعبارات التى توحى بالألم وتشعر بالحزن ، وتشير إلى همومه وأحزانه ، كما يلحظ القارئ لشعر الشاعر ثورته العارمة على نواحى الحياة فى مجتمعه ، وهذه الثورة لها دوافعها وأسبابها ومظاهرها ، فكانت هناك ثورة وطنية ، وثورة اجتماعية ، وثورة أدبية وفنية ، وثورة على وضع المرأة ، وهذا ما لفت انتباهنا ، ودفعنا إلى تناول هذا الموضوع ــ مظاهر الثورة فى شعر الشابى ــ لمعرفة تلك المناحى فى شعره وطرقه الفنية فى التعبير عنها ، ولا سيما وأن هذا الشعر صار منشدا فى كل مكان بسبب أيام الربيع العربى المجيدة التى تشهد قيام الشعوب العربية بثورات ضد الأنظمة الفاسدة تأثرا بدعوة الشابى الشعرية الخالدة ، وجاء تناولنا لهذه المظاهر فى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

وتحدثت فى التمهيد عن : حياة الشاعر ونشأته وثقافته ، وتحدثت فى الفصل الأول عن : مظاهر الثورة فى شعره الوطنى ، وفى الثانى عن : مظاهر الثورة فى شعره الاجتماعى ومكانة المرأة فى مجتمعه ، وفى الثالث عن : مظاهر الثورة فى مقومات النص الشعرى ثم ختمت ذلك بخاتمة أجملت فيها ما استنتجته من نتائج فى هذا البحث ، وذيلتها بقائمة للمصادر والمراجع.

وأسأل الله العلى القدير أن يغفر ما طغى به القلم وزل به الفكر ، إنه ولى ذلك والقـــادر عليه ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، والحمد لله فى الأولى والآخرة.

الدكتور

عاطف عبداللطيف السيد

تمهيد

حياة الشابى وثقافته

ولد الشاعر أبو القاسم الشابى فى عام ١٩٠٩م فى بلدة (الشابية) إحدى ضواحى مدينة (توزر) بتونس وهذه البلدة تتسم بطبيعتها الساحرة وجمالها الخلاب ، لما فيها من بساتين وواحات ، وعيون تنضح بالماء العذب ، وصحراء ذات رمال ذهبية بديعة ، وبحيرة (شط الجريد) التى ينبع منها الماء العذب الرقراق ، وما يموج فى طبيعتها من مناظر رائعة كخرير الماء ، ورفيف الأشجار الخضراء ، وهدير البحر وجمال الصحراء ، مما كان له أثر كبير فى جمال شعره ورقة معانيه .

وأما والد الشاعر وهو الشيخ محمد بلقاسم الشابى فكان من علماء الدين ومن أسرة وهبت حياتها للعلم والاحتفاء به ، وقد ولد بقرية الشابية فى عام ١٨٧٩م ، وتلقى تعليمه الأول فى مسقط رأسه ، ثم ذهب إلى مصر فى عام ١٩٠١م ليلتحق بالأزهر الشريف فدرس فيه سبع سنين ، تتلمذ فيها على يد أعلام العلم وقادة الإصلاح كالشيخ محمد عبده ثم عاد إلى تونس ، وقد تشبعت روحه وتغذى عقله بمبادئ الإصلاح الدينى التى أرسى قواعدها جمال الدين الأفغانى ودرس بعد عودته سنتين بجامع الزيتونة نال بعدهما شهادة التطويع (العالمية بالأزهر) وهى إجازة نهاية الدراسة بالكلية الزيتونية فى ذلك العصر.

وقد تزوج الشيخ قبل أن ينهى مرحلة طلب العلم ، ثم عين قاضيا شرعيا عقب تخرجه من الجامع الزيتونى ، وكان ذلك بعد ولادة ابنه الأكبر (أبو القاسم) فى ربيع سنة ١٩٠٩م ، وتنقل بين كثير من المدن والبلدان بدأ ببلدة سلياتة فتالة سنة ١٩١٠م ، ثم نقل إلـــى مدينة (قفصة) سنة ١٩٠٠م فبلدة (قابس) سنة ١٩١٤م فبلدة (فتالة) سنة ١٩١٧م فمجاز الباب سنة ١٩١٨م ثم رأس الجبل سنة ١٩٢٤م فزاغون سنة ١٩٢٧م إلى أن توفى فى سنة ١٩٢٩م.

ومن ثم نجد أن أبا القاسم الشابى لم ينشأ بمسقط رأسه كثيرا ، فقد خرج عنه فى سنيه الأولى ، ولم يكد يعرفه إلا قليلا أثناء زيارتين له كانت الأولى عند ختانه وهو فى الخامسة من عمره ، والثانية كان فيها زائرا ومدتهما ثلاثة أشهر .

وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين عاما من الرحيل والتطواف والتنقل فى رحاب تونس ، كان الوالد فيها يقضى يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل يتبسط مع أهله ، وقد نشأ أبو القاسم فى سن تكوينه الفكرى والخلقى فى كنف رعايته الصالحة ، يقتبس من علمه وأدبه ، وكان والده صادق النفس ، قوى العقيدة ، لا يخشى فى الحق لومة لائم به غيرة على الإسلام والمسلمين ، وينفعل ويثور لما يجرى فى الشرق العربى من أحداث .

ومن ثم يبرز دور الوالد فى التكوين الفكرى والخلقى الذى أتيح لأبى القاسم الشابى ، حيث كان الوالد صورة مشرقة فى النواحى الخلقية

والعلمية والثقافية ، يعبر عن ذلك أبو القاسم فيقول عن أبيه " إنه أفهمنى معانى الرحمة والحنان ، وعلمنى أن الحق خير ما فى هذا العالم وأقدس ما فى هذا الوجود ".

ولما كان أبو القاسم دائم الترحال مع والده فقد أدى ذلك إلى بناء شخصيته وطبعه بطابع إنسانى عميق ، وتطلعت عيناه على العديد من المشاهد الطبيعية الخلابة ، التى نبهت عبقرية الشعر فيه إلى منابع الحق والخير والجمال ، وساعدت على تعميق تجربته وتدفق شاعريته وإنضاج رؤيته ، ودفعته لأن يلتقط ما فى الطبيعة التونسية الجميلة ، ويختزنها ويخرجها فى قصائده دررا متلألئة .

وأما عن دراسته وتعليمه فقد نال من العلم قسطا كبيرا ، حيث أدخله أبوه أحد الكتاتيب الخاصة فى قابس لحفظ القرآن الكريم وهو فى الخامسة من عمره ، وقد أتم حفظه وهو فى التاسعة من عمره ، وقد تعهده والده بعد ذلك بالرعاية التعليمية فلقنه ــ على مدى عامين ــ دروسا فى اللغة العربية وعلومها ومبادئ العلوم الأخرى ، وكان يدفعه إلى قراءة ما تحويه مكتبته من كتب دينية صوفية وفلسفية.

وفى عام ١٩٢٠م أرسله والده إلى تونس ليلتحق بجامع الزيتونة لدراسة أصول الفقه وأحكام الدين، ومضى فى هذا الجامع ما يقرب من تسع سنوات حصل الشاعر خلالها على الإجازة التى كان قد نالها والده من قبل ، وكانت حياته فى الزيتونة حافلة بالنشاط الأدبى والقراءات والمحاضرات والمناقشات ، فنهل ــ خلال هذه الحقبة ــ من كل ما وقعت

عليه عينه ووصل إلى يديه من دواوين الشعر العربى والحديث ، كما وقعت عيناه كذلك على الأدب المهجرى الذى عكف على قراءته مما كان له تأثير كبير فى نفسه وثقافته ، وأظهر نشاطا اجتماعيا وأدبيا وفنيا ، فقاد حركة طلاب الزيتونة التى تهدف إلى إصلاح مناهج التعليم والإدارة فى الكلية ، وساهم فى تأليف نادى الطلاب بتوزر وتأسيس فرع جمعية الشبان المسلمين هناك.

وفى عام ١٩٢٧م ــ أى بعد سبع سنوات ــ نال الشاعر إجازة التطويع من الجامع الزيتونى ، ورفض أن يعمل بهذه الشهادة ، وآثر أن يلتحق بكلية الحقوق ليدرس القانون حبا فى العلم ورغبة فى الحصول على شهادة فيه.

وفى عام ١٩٢٨م رغب والده أن يزوجه ، فتزوج من فتاة تونسية إرضاء لأبيه.

وكان من قبل قد أحب فى صباه حبا عذريا جميلا ، لكنه صدم بموت حبيبته صدمة شديدة أثرت على قلبه ، وتركت له آلاما وذكريات حزينة يقول فى ذلك[1]:

بالأمس قد كانت حياتى كالسماء الباسمة

واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة

قد كان لى ما بين أحلامى الجميلة جـــدول

يجرى به ماء المحبة طـــــاهرا يتسلسل

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩.

تسعى به الأمواج باسمة كأحـــلام الصبا

بيضاء ناصعة ضحوكة مثل أزهـــار الربى

مياسة كعرائس الفردوس بين حقولـــــه

تتلو أناشيد المنى فى مـــده وقفـولـــــه

إلى أن يقول

هو جدول قد فجـــــرت ينبوعه فـــى مهجتى

أجفان فاتنة أرتنيها الحيـــــــــاة لشقـوتى

أجفان فاتنة تراءت لى على فجر الشـــــباب

كعروسة من غانيات الشعر فى شفق السحـاب

ثم اختفت خلف السماء وراء هاتيـــك الغيوم

حيث العذارى الخالدات يمسن مـن بين النجوم

ثم اختفت أواه طـــــائرة بأجنحـــة المنون

نحو السماء وها أنا فى الأرض تمثال الشجون

وقد شهدت فترة زواجه نشاطا ملحوظا ، حيث تم تأسيس جمعية الشباب المسلمين واختير الشابى مقررا لها ، وساهم فى تأسيس النادى الأدبى ، ونشر نتاجه الشعرى الأول ، واتصل بعدة مجلات فى الدول العربية الأخرى ، كمجلة أبولو ، ونشر له شعر فيها.

وظلت حياة الشابى حافلة بالنشاط الأدبى وغيره حتى جاءه نبأ وفاة والده عام ١٩٢٩م ، فصدم صدمة شديدة تركت فى نفسه أثرا عنيفا ، حيث كان له معلما وصديقا وراعيا له وعطوفا عليه ، ومتحملا عنه

تكاليف الحياة ، ومما زاد من ألمه أنه لم يكن يدرى من شئون الحياة شيئا فوجد نفسه مضطلعا بأعباء عائلة كبيرة ، وراعيا لكل ما خلفه له والده من أم وأخوات وأملاك ، فيقول معبرا عن حزنه[1]:

يا موت قد مزقت صدرى ... وقصمت بالأرزاء ظهرى

وفجعتنى فيمـــن أحبـ ... ـب ومن إليه أبث سـرى

وأعده فجـرى الجميـ ... ـل إذا إدلهم على أمـرى

وأعـــده وردى ومـــز ... مارى وكاساتى وخمـرى

وأعـــده غابى ومحـ ... رابى وأغنيتى وفجـرى

ورزأتنى فـــى عمـدتى ... ومشورتى فى كل أمـــر

وهدمت صرحا لا ألـــو ... ذ بغيره وهتكت ســـرى

فهذه الأبيات تنطلق باللوعة وتفيض بالحزن الشديد على فراق أبيه الذى كان سندا قويا له وفجره وصرحه وعدته وأغنيته ومشورته فى كل أمر ، كما تبدو لوعته وأساه فى قوله [2]:

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبى ... ومشاعرى عمياء بالأحـزان

أنى سأظمأ للحيـــاة واحتسى ... من نهرها المتوهج النشوان

وأعود للحياة بقلب خـــافق ... للحب والأفـــراح والألحـان

حتى تحركت الســنون وأقبلت ... فتن الحياة بســحرها الفتان

فإذا أنا طفل الحيـــاة المنتشى ... شوقا إلى الأضواء والألـوان

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٨٥، ٨٦.

٢ - المصدر السابق ص ١٥٧.

ولم يقف الشاعر عند ذلك بل صور فى أبيات أخرى أنه بفقده لأبيه فقد الراحة والهناءة ، إذ عليه أن يدبر شؤون أسرته التى أصبح عائلها وعمادها فيقول[1]:

وأود أن أحيا بفكـــرة شـاعر ... فأرى الوجود يضيق عـن أحلامى

إلا إذا قطعت أسبابى مع الـــد ... نيـــا وعشت لوحـــدتى وظلامى

لكننى لا أستطيع فـــــإن لى ... أما يصد حنانهـــا أوهـــامى

وصغار إخوان يـــرون سلامهم ... فى الكائنات معلقا بســـــلامى

فقدوا الأب الحانى فكنت لضعفهم ... كهفا يصـــد غوائـــل الأيـــام

ويقيهم وهج الحيـــاة ولفحها ... ويزود عنهـــم شـــرة الآلام

هجمت بى الدنيا على أهوالهـــا ... وخضمها الرحـب العميق الطامى

فتحطمت نفسى على شطآنـــه ... وتأججت فى جـــوه آلامـــى

يصور الشاعر فى هذه الأبيات المسؤليات الجمة التى أضحى يواجهها، مؤثرا إياها على رغبته فى عيش حياة شعرية عامرة بالأحلام ، لأن الأسرة تجذبه إلى الواقع ، وأمورها تحرمه من تحقيق أمانيه ورغباته ، وهذا ما جعل شعره يتلون بهذا اللون الحزين ، ويشعر بالغبن وبحرب الزمان له فيقول[2]:

فى جبال الهموم أنبت أغصـا ... نى فرفت بين الصخور بجهد

---

١ - المصدر السابق ص ١٤٥.

٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٦٨، ٦٩.

وتغشانى الضباب فـــأورقـــت وأزهرت للعواصف وحـــدى

وتمايلت فى الظلام وعطـــرت فضاء الأسى بأنفـــاس وردى

وبمجد الحياة والشـوق غنيت فلم تفهم الأعاصير قصـــدى

وتغزلت بالربيع وبالفجـــــر فماذا ستفعل الريـــــح بعدى

ومما زاد من معاناته ما أصيب به من مرض تضخم القلب ، الأمر الذى جعل الأطباء ينصحونه بترك القراءة والكتابة ، لكنه لم ينأى عن عمله الفكرى والأدبى ، وأضحى حديث الأوساط الأدبية فى الوطن العربى شرقا وغربا ، وأوكل إليه الدكتور أحمد زكى أبو شادى تصدير ديوانه (الينبوع) وغادر مدينة (توزر) ، وقصد المصطافات الجبلية كعين دراهم بالشمال التونسى عام ١٩٣٢م ، والمشروحة ببلاد الجزائر عام ١٩٣٣م وشرع أثناء مصيف ١٩٣٤م فى جمع ديوانه (أغانى الحياة) بقصد طبعه فى مصر ، إلا أن المنية قد فاجأته بعد أن اشتد به مرضه فتوفى فى اليوم التاسع من شهر أكتوبر عام ١٩٣٤م ثم نقل جثمانه إلى بلده (توزر) حيث قبره[١].

فمرض الشابى كان عنصرا مهما من عناصر المأساة الخاصة التى عاش الشاعر فيها وأثرت فى شعره تأثيرا كبيرا ، مما جعله يكثر فى شعره من الحديث عن قلبه الذى يتهدده الموت بين لحظة وأخرى فيقول[٢]:

---

١ - ديوان (أغانى الحياة) ط دار الكتب الشرقية ط أولى سنة ١٩٥٥م ص ١٢.

٢ - ديوان أبى القاسم ص ١٥.

يا شعر قلبى. مثلما تدرى. شقى مظلم

فيه الجراح النجل يقطر من مفاورها الدم

جمدت على شفتيه أرزاء الحياة العابسة

فهو التعيس يذيبه نوح القلوب البائسة

ويقول فى موضع آخر مخاطبا قلبه[1]:

جف سحر الحياة يا قلبى الباكى فهيا نجرب الموت هيا

وينادى الموت قائلا[2]:

يا موت ماذا تبتغى منى وقد مزقت صدرى

ماذا تود من المعذب فى الوجود بغير وزر

ماذا تود من الشقى بعيشه النكد المضر

إن كنت تطلبنى فهات الكأس أشربها بصبر

أو كنت ترقبنى فهات السهم أرشقه بنحرى

خذنى إليك فقد تبخر فى فضاء الهم عمرى

خذنى فما أشقى الذى يقضى الحياة بمثل أمرى

يا موت نفسى ملت الدنيا فهل لم يأت دورى

وقال حين أحس بقرب أجله [3]:

صل يا قلبى إلى الله فإن الموت آت

صل فالنازع لا تبقى له غير الصلاة

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٦٨، ٦٩.

٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٦٨، ٦٩.

٣ - المصدر السابق ص ٤٠.

وأما ملامح شخصية الشاعر فتبدو من خلال ما قاله عنه كثير من الأدباء والنقاد ، فيقول صديقه ومعاصره الأديب التونسى محمد الحليوى : "إنه رجل إذا حدث لا يكاد يسمع ، وإذا ناقش لا يكاد يجرح ، وإذا أثنيت على شعره أو حدثته عن نفسه علت وجهه حمرة الخجل ، ولم يكن قط محبا لهاته المجالس الصـــاخبة اللاهية المملوءة بالهزل والسخف" [1].

فهذا الوصف يقف بنا على ملامح تلك الشخصية الشاعرة فهى ذات مبادئ أخلاقية ، تكشف عن تواضعه وحبه للحياة ، وبعده من السخف والهزل ، وتشير إلى أنه عاش حياة عامرة بالأحزان ، بل كان يشعر بأحزان الآخرين كأنها أحزانه وهمومه ، ويعطى للحياة من وقته وجهده ما قد يخفف عن الناس آلامهم وأحزانهم.

ويصفه مقدم ديوانه فيقول : "كان نحيف الجسم ، مديد القامة ، قوى البديهة ، سريع الانفعال ، حاد الذهن ، تكفكف رقة طبعه من عزب عاطفته وحدة ذهنه ــ يلقاه أصدقاؤه بشوشا كريما ، متأنقا ، طروبا لمجالس الأدب يحب الفكاهة الأدبية ، ويـــراه من لم يخالطه حييا محتشما ، ويعرف منه هؤلاء وهؤلاء صراحة حازمة قوية يبديها لخاصة خلصائه فى غير ما تحرج متى اجتمع بهم ، ويجاهر بها العموم فى شعره ونثره ، وكان محبا لبلاده صادق الوطنية ، يؤمن بأن لقادة

---

١ - أبو القاسم الشابى شاعر الحب والثورة ـ الأستاذ رجاء النقاش ص ١٨.

الفكر رسالة إنسانية سليمة ، حاول جهده أن يحققها فى أثناء حياته القصيرة ".[1]

وحين نتحدث عن روافد ثقافته فتتمثل فى قراءته فى الآداب القديمة عربية وغير عربية فقرأ فى الأدب العربى القديم من الجاهلى والإسلامى والأموى والعباسى والأندلسى والعثمانى ، وفى الأدب اليونانى والرومانى القديم ، وفى الآداب الحديثة الغربية والعربية فقرأ فى الغربية للامرتين ، ودى موسيه وجان جاك روسو ، وكيتس ، وجوته ، ونيتشه ، وفى العربية لطه حسين وجبران خليل جبران وخليل مطران ، وغيرهم كثير ، وقد ساعدته ظروفه العائلية فى سنيه الأولى على نيل قسط كبير من ألوان الثقافة وفروع المعرفة ، فاكتملت له بذلك أصول الثقافة العربية الأصيلة فى شتى عصورها ، وروائع الآداب الغربية التى استقاها من خلال الترجمات ، إذ لم يتعلم لغة أجنبية يستطيع بها أن يلم إلماما تاما بهذه الآداب ، فاكتفى بما قد ترجم منها إلى اللغة العربية ، فامتاز بنبوغه المبكر ونضجه الشعرى ومشاركته الفاعلة فى التحول الحضارى الذى بدأ فى كثير من البلدان العربية.

ومما تقدم نستطيع القول بأن الشابى قد نال قسطا كبيرا من الثقافة وحصيلة طيبة من الأدب العربى والغربى ، يؤكد ذلك ما قاله محمد الحليوى عنه من أنه ناقد واسع الاطلاع فى النقد والأدب الغربيين ،

---

١ - تجارب نقدية وقضايا أدبية - محمد إبراهيم أبو سنة - سلسلة أقرأ بتاريخ ١٩٨٦م ص ١٧٧.

وكانت له ملكة نقدية مرهفة ، وبصر موضوعى دقيق بضروب الفن الأدبى [١].

هذا بالإضافة إلى أن هذه الثقافة كان لها أثرها الكبير فى نفسه وفى شعره ، فقد أعانت على تحديد رؤيته للقضايا والمناحى المختلفة ، السياسية والاجتماعية والفكرية ، وظهور ذلك فى مضامينه النفسية والفكرية والشعورية ، مما يجعلنا نقول بأن خوضه ذلك ومشاركته فى القضايا كان مشاركة إيجابية فاعلة أدت إلى تطور حضارى فى المجتمع العربى.

ولأن البيئة التى ترعرع فيها قد تشربت القيم الدينية فقد فطر الشاعر على حس أخلاقى منحه القدرة الكبيرة على الإحساس بالآخرين ، ومن ثم فقد تفتحت موهبته الشعرية من خلال ترحال على عنصرين ظلا يقتربان شعره ويفجران فيه القوة والفتنة ، هذان العنصران هما الإحساس العميق بالجمال ، والإحساس العميق بالظلم الذى غلف مجتمعه فدفع قيثارته بنغم يأتلف من هذين العنصرين[٢].

---

١ - المصدر السابق ص ٦.
٢ - تجارب نقدية وقضايا أدبية - أ/ محمد إبراهيم أبو سنة ص ١٧٤.

ثانيا : مذهبه الشعرى

قبل أن نتحدث عن مذهبه الشعرى لابد وأن نعرض لمفهوم الشابى عن الشعر والشعراء ، ومن خلال ذلك نستطيع أن نقف على مذهبه الشعرى أو مدرسته الشعرية ، أما الشعر فكان لديه رسالة تهدف إلى مقاومة الأوضاع السلبية وإرساء القيم الفاضلة فى المجتمع ، فهو إذن قضية تسمو عن الموضوعات التقليدية السطحية.

وأما عن مفهومه الأدبى عنده فهو فيضان من الشعور القوى قد سما به الخيال وحلاه اللفظ على نغمات الأوزان ، وتتجمع فيه العاطفة وتعبير النفس وتصوير الوجدان.

إنه انعكاس حقيقى للطبيعة بكل مظاهرها ، وتعبير صادق عن الذات وعواطفها وتجاربها ، إنه الشعر الذى يخلو من التزلف والنفاق ، إنه الطبيعة الحية بكل مظاهرها والإحساس والشعور الصادق بكل ما يسمع ويبصر فى جنبات الطبيعة الخلابة.

وعن الشعر يقول الشابى [1]:

ما الشعر إلا فضاء	يرف فيــه مقالى
فيما يسر بــــلادى	ومـا يسر المعالى
ومــا يثير شعورى	من خافقات خيالى

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٨٨.

وأما الشاعر لديه فهو القائد الذى يرتفع بالأمة إلى مثله العليا ، ويرقى بها إلى أفاق التطور ويرتفع بروحه إلى آفاق فسيحة ، ويسمو عن البيئة الضيقة المحدودة ، ويسبق عصره ببصره إلى مستقبل مشرق وغد أفضل ، وينأى بشعره عن المناسبات العارضة والموضوعات الجامدة.

ويعبر عن ذلك فيقول : "إذا كنت أدعو إلى التجديد الأدبى ، وأعمل له فإن ذلك لا يدفعنى إلى الهزء والسخرية بآداب الأجداد ، بل إننى لأومن كل الإيمان بما فيها من جمال فنى وسحر قوى ، وأعتقد أنها قد أتت فى عصورها الحية لأجدادنا كل ما طمحت إليه أشواقهم فى غذاء معنوى دسم، ولكننى أومن إلى جانب ذلك أن فى الحياة أفاقا مجهولة ساحرة غير ما فى الأدب العربى من آفاق ، وأن هذا الأدب إذا كان قدسه خلة آبائنا الروحية فإنه لعاجز كل العجز عن أن يشبع ما فى أرواحنا من جوع وعطش وطموح" [1].

فالمذهب الشعرى الذى تأثر به الشابى هو المذهب الرومانتيكى ومن خلاله يلجأ الشاعر إلى الطبيعة فيخلع عليها أحاسيسه ومشاعره ، ويحدثها وتحدثه ، ومن النقاد من يرى أن الشابى قد تأثر تأثيرا كبيرا بمدرسة المهجر ، لأن أفكارها تتفق وما يرغب فيه الشاعر من تجديد ، حيث يقول :

---

١ - الشابى شاعر الخضراء ص ٤٣ : ٤٥.

"لكم لغتكم ولى لغتى ، لكم من لغتكم البديع والبيان والمنطق ، ولى من لغتى نظرة فى عين المغلوب ودمعة فى جفن المشتاق وابتسامة على ثغر المؤمن ، وإشارة فى يد السموح الكريم ، لكم منها ما قاله سيبويه والأسود وابن عقيل ومن جاء قبلهم وبعدهم ، ولى منها ما تقوله الأم لطفلها والمحب لرفيقته والمتعبد لسكينة ليلة" [١].

فقد وجد الشابي في أدب المهجر وشعرائه خلوه مما يعيب الأدب العربي القديم من جمود، ومن موضوعات قديمة كالمدح والهجاء ، ومن النزعات الخطابية التي تسري في نصوصه ، ووجد في شعر المهجر روح التجديد والدعوة الي التعبير عن الافكار الفلسفية والآفاق الإنسانية السامية ، والتأملات العميقة في النفس والطبيعة والحياة [٢] .

وكان جبران خليل جبران من شعراء المهجر الذين كان لهم أثر كبير فى شخصية الشابى الشعرية ، لأنه كان "ثائرا متمردا على وضع المجتمع العربى ، وكان يكتب من بعيد كتابة حارة ليناوئ أبناء الشرق العربى ويطالبهم بالخروج من التقاليد القديمة ، ومن استبعاد أرواحهم للماضى"[٣].

وقد حدد الدكتور محمد مصطفى هدارة وجوه تأثر الشابى بشعراء المهجر فقال : إن أول هذه الوجوه هو مفهوم الشابى للشعر ، فالشعر

---

١ - دراسات فى الشعر العربى د/ مصطفى هدارة ج١ ص ١٨٢.
٢ - أبو القاسم ، شاعر الحب والثورة ص ٣٠، ٣١.
٣ - المصدر السابق.

لديه تصوير وتعبير ، تصوير لهذه الحياة التى تمر أمامك مغنية ضاحكة لاهية، أو مقطبة واجمة ، أو وادعة حالمة راضية ، أو ثائرة ساخطة بأسلوب فنى جميل ملؤه القوة والحياة ، وهذا المفهوم للشعر نراه لدى ميخائيل نعيمة فى معنى الشعر.

وثانى هذه الوجوه هو موقفه من الحب والعاطفة الإنسانية ، فشاعر الحب عند شعراء المهجر يدور حول الحنين إلى رفيقة الصبا وما تبع ذلك من ذكريات جميلة بينة المقاصد واضحة المعالم نبيلة الأهداف، وهو عندهم عنصر مهم من عناصر الحياة ، ولم يكن الحب لديهم أوصافا حسية للمرأة ، وإنما كان نوعا من التأمل يخرجون من خلاله عواطفهم المضطرمة ومشاعرهم الصادقة ، يفيض السلام على الكون من خلاله ، ويسعد بـــه البشر فى كل مكان ، لأنه يوصل إلى الحقائق الإنسانية الخالدة ، ويبعث الجمال فى الكون ، وهذه المعانى نجدها فى الإنسانية الخالدة ، ويبعث الجمال فى الكون ، وهــذه المعانى نجدها فى شعر الشابى [1].

وثالث هذه الوجوه هو مفهوم حب الوطن ، فقد كان شعراء المهجر يحبون الوطن حبا كبيرا ، وكانوا يصفونه فى قصائدهم بالضعف والهوان، ويتحدثون عن الأسقام التى أضعفته ، والعلل التى أذلته ثم

---

١ ـ دراسات فى الشعر العربى د/ هدارة ص ١٨٣، ١٨٤.

يثيرون حماسته ، ويستنهضون عزيمته ليظهر قوته ويبرز شوكته ، وشعر الشابى يشبه شعر شعراء المهجر فى هذا المجال [١].

ورابع هذه الوجوه هو الحديث عن الألم والكآبة والتشاؤم ، وهذا الوجه من أخص عناصر شعر شعراء المهجر وقد شاركهم الشابى فى ذلك، وتحدث بعض الأدباء عن تشاؤم الشابى فوضعه فى أطوار متعددة ، أما الطور الأول : "فكان تشاؤما فى صباه بسبب انكبابه على قراءة المعرى وجبران ، وأما الطور الثانى : فهو التشاؤم المصحوب بالتعليل ، وأما الطور الأخير : فيتميز بتغلب الشابى على تشاؤمه" [٢].

وخامس وجوه التشابه هو التجاوب مع مظاهر الطبيعة ، حيث وصف شعراء المهجر الطبيعة وعاشوا فيها ، وعقدوا الصلة بينها وبين عواطفهم واحاسيسهم ومشاعرهم ، وتحدثوا إليها وخاطبوها ، رغبة منهم فى البعد عن واقع حياتهم المؤلم ، وقد تبعهم الشابى فى ذلك حيث وجد فى الطبيعة أنسة وأمنة وملاذ سعادته وراحته من متاعب حياته" [٣].

ومما تقدم يتبين لنا أن الشاعر قد تأثر تأثرا كبيرا بشعر شعراء المهجر كما تأثر بالمذهب الرومانتيكى وقد نتج عن ذلك وجود شعر وجدانى للشابى يمتاز بالمشاعر والأحاسيس الصادقة ، والعاطفة

---

١ ـ المرجع السابق ص ١٨٤.
٢ ـ دراسات فى الشعر العربى د/ هدارة ص ١٨٧.
٣ ـ المرجع السابق ص ١٨٨.

المشبوبة الحارة ، والعبارات الشعرية المعبرة والموسيقى الشعرية الجميلة.

وعلى الرغم من قصر الفترة الزمنية التى عاشها الشابى إلا أنه قد خلف وراءه ثروة شعرية قيمة برزت من خلالها قيمته الأدبية ومكانته الشعرية فى أرجاء الوطن العربى ، وقصائده التى ضمنها ديوانه هى حصاد حياته القصيرة الخصبة ، يقول عنها فى قصيدته (الجنة الضائعة)[١]:

هذا حصادى من حقول العالم الرحب الخطير

هذا حصادى كلـــــه فى يقظة العهد الأخير

ويقول فى قصيدة (فكر الفنان) [٢]:

تلك الأناشيد التى تهب الورى عزم الشباب وغبطة العصفور

وبالنظر فى شعر الشاعر نرى غزارة إنتاجه فى سنة وفاته ، وقبلها بقليل ، حيث بلغ ما نظمه من قصائد فى عام ١٩٣٤م أكثر من عشر قصائد ، وفى السنة التى سبقت وفاته ما يقرب من سبع عشرة قصيدة ، وهذه القصائد هى التى رفعته إلى منزلة عالية ومكانة سامية ، وجعلته فى طليعة الشعراء المناهضين للظلم والمدافعين عن الحرية [٣].

ويحدثنا زين العابدين السنوسى عن كيفية نظم الشاعر قصائده فيقول: "إذا رجعنا إلى أدبائنا المعاصرين ، عرفنا أن المرحوم أبا القاسم

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٧٦.
٢ - المصدر السابق ص ٨٩.
٣ - مع الشابى فى ديوانه ص ١٢.

الشابى لم يكن يستنزل الشعر ، ولكنه كان يقبض عليه ، بعد أن تهاجمه الأفكار مهاجمة تمنعه من الراحة والنوم ، فيصوغ القصيدة بيتا بيتا ، ولا ينام إلا بعد أن يفرغ ما جاش بضميره شعرا محكما ، ثم ينام مطمئنا كأنما نزع عن ظهره عبئا ثقيلا ، فإذا استيقظ فى الغد متأخرا وجدها على طرف لسانه ، فينسخها فى أوراقه عن ذاكرته مطمئنا ، وربما طاش عنه الشطر فلا يرضى أن يعوضه أبدا ، وتبقى القصيدة بتراء فى جيبه يقرؤها علينا بتراء ، ولا يجسر على ترقيعها أبدا إلى أن يتذكرها ولو بعد شهر"[1].

وهذا ما جعله يقول فى شعره [2]:

شعرى نفاثة صدرى إن جاش فيه شعورى

لولاه ما انجاب عنى غيم الحياة الخطـــير

ولا وجـدت اكتئابى ولا وجدت ســـرورى

به ترانى حـــزينا أبكى بدمع غزيـــــر

به ترانى طروبـــا أجر ذيل حبـــــورى

فالشعر صدى لحياته فى اكتئابها وسرورها ، وطربها ، فهو نفاثة صدرة ، ورجع مشاعره وأحاسيسه ، ونظمه لهذه النفثات ليس امتداحا لأمير أو رثاء لعليل فإنما هو لإرضاء ضميره فيقول فى ذلك :

لا أنظم الشعر أرجو به رضـــاء الأمير

---

١ - المرجع السابق ص ١٣.

٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٨٧، ٨٨.

بمدحه أو رثـــــاء تهدى لــرب السرير

حسبى إذا قلت شعرا أن يرتضيه ضميرى

ثم يقول :

لا أقرض الشعر أبغى به اقتناص نــوال

الشعر إن لم يكن فى جماله ذا جـــلال

فإنما هو طيـــــف يسعى بوادى الظلال

يقضى الحياة طريدا فى ذلـــة واعتزال

ويبدى حرصه على شعره وبيان منزلته فيقول :

يا شعر أنت ملاكى وطارفى وتلادى

أنا إليـــــك مراد وأنت نعم المراد

ويتغنى بشعره فى أبيات أخرى فيقول [1]:

أنت يا شعر فلذة من فؤادى تتغنى وقطعة من وجودى

فيك ما فى جوانحى من حنين أبدى إلى صميم الوجــود

فيك ما فى خواطرى من بكاء فيك ما عواطفى من نشيد

إلى أن يقول

أنت يا شعر قصة عن حيــاتى أنت يا شعر صورة من وجودى

أنت يا شعر إن فرحت أغاريدى وإن غنت الكآبـــــة عودى

ويتضح مما سبق أن الشاعر يعتز بشعره اعتزازا كبيرا ، فهو ملاكه وطارقه وتلاده ومراده ، وهو فلذة من فؤاده وقطعة من وجوده ،

---

١ -ديوان أبى القاسم الشابى ص ٦٣،٦٤.

وفيه شعره حنينه وبكاؤه وأنينه ، وفيه فرحه وسروره ، وفيه حزنه ووجومه ، وفيه تعبير صادق عن حياته وصورة معبرة عن وجوده ، فى حالتى الفرح والترح والكآبة والمرح.

الفصل الأول
مظاهر الثورة فى شعره الوطني

وجد الشعر السياسى والوطنى فى البلاد العربية كلها ، فى مصر والشام والعراق وغيرها ، وكان الشعراء يعبرون فى هذا اللون عن آلام أمتهم وأوجاعها أمام المستعمر الظالم [١] ، وهذا الشعر " يصور البطولة والتضحية فى سبيل الحرية " بل هو أيضا يعبر فيه الشاعر عن حزنه وألمه لمصير وطنه أو قومه ، لما يشهد من فرقتهم وضعف شأنهم ، ويحاول الشاعر فى هذا اللون أن يستثير حمية بنى وطنه بالنقد اللاذع أحيانا وبالأسى العميق أحيانا أخرى [٢].

ويقول عبدالرحمن الرافعى عن الأدب الوطنى : "إن الأدب الوطنى له الأثر الذى ينكر فى تكوين المواطن الصالح، والشعر بما يطبع فى نفس الشاعر من التحلق فى سماء الخيال ، والتطلع إلى المثل العليا ، يمهد للنهضات الوطنية ويبعثها ويغذيها ، إذ يهيب بالأمة أن تتمسك بالحرية والكرامة ، ويستحثها على النفور من الذل وإباء الضيم ويحبب إليها الثورة على الاستعمار والاستبداد" [٣].

---

١ - دراسات فى الشعر العربى المعاصر د/شوقى ضيف ص١٥١.
٢ - الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر د/عبد القادر القط ص٣١٢.
٣ - شعراء الوطنية فى مصر . عبد الرحمن الرافعى ص٦.

ويسمى شوقى ضيف الشعر الوطنى بشعر الوجدان الجماعى لأنه يصور العواطف الوطنية والأهواء السياسية ، ويعيش الشاعر للجماعة لا لنفسه [١].

وتعد الثورة الوطنية فى شعر أبى القاسم الشابى من أهم الثورات التى خاضها فى حياته ، وقد نشأت تلك الثورة من الأوضاع السياسية التى كانت عليها تونس آنذاك ، حيث كانت تعانى من الاحتلال الفرنسى فى عام ١٨٨١م فعبر الشاعر بشعره عن الظلم والاحتلال الذى لاقاه هو وشعبه من المحتل ، حيث كانت أمته ترزح تحت وطأة الاستعمار الفرنسى ، وتعانى منه معاناة شديدة ، فثار ثورة عارمة لأمته ، ثورة جامحة على الظلم والرجعية والخمود والاستكانة ، وكانت عاطفته الشعرية فى ذلك متقدة ، مزج فيها بين ذاتيته ومشاعره الوطنية لأنه كما يقول فتحى سعيد: "هو الذى كلل غابات تونس بالدموع" [٢] ، وصور بغى المستعمر وظلمه فيقول [٣]:

ألا أيهـــا الظالـــم المستبد ... حبيب الظلام عدو الحيـــاة
سخرت بأنـــات شعب ضعيف ... وكفك مخضوبة من دمـــاه [٤]
وسرت تدنس سحـــر الوجود ... وتبذر شوك الأسى فى ربـــاه
رويدك لا يخدعنك الربيـــع ... وصحو الفضاء وضوء الصباح

---

١ - فى الأدب العربى المعاصر فى مصر د/ شوقى ضيف ص ٧٦.
٢ - الغرباء . فتحى سعيد ص١١.
٣ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٦٠، وينظر أغانى الحياة ص ١٨٥.
٤ - مخضوبة : أى مصطبغة .

ففى الأفق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح

حذار فتحت الرمـــاد اللهيب ومن يبذر الشوك يجنى الجراح

تـأمل هنـالك أنى حصـــدت رؤس الورى وزهور الأمـــل

ورويت بـالدم قلب التـــراب وأشربته الدمع حتى ثمـــل [1]

سيجرفك السيل سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعـــل

يصف الشاعر فى هذه الأبيات العدو المستعمر أنه عدو الحياة والناس ، صديق العدم والفناء ، تتخضب بالدماء أناملـه ، ويضحك ويسخر من أنات الشعوب الضعيفة ، ويدنس بأقدامه سحر الوجود ، ويبذر شوك الأسى والحزن فى كل مكان ، ويحذره الشاعر بألا ينخدع بمن يراه من الصحو وابتسام النور فى الربيع ، فستعصف به الريح العاتية ، وستجرفه أمواج الدماء التى أسالها دموعا فى أرجاء الوطن ، وكل ذلك سيلتف به ويبتلعه ابتلاعا [2].

وقد استخدم الشاعر فى هذا الوصف العبارات الشعرية المناسبة مثل قوله (الظالم المستبد ، حبيب الفناء ، عدو الحياة ، تبذر الشوك ، تدنس الوجود ، كفك مخضوبة بدماه) ، وفيها دلالة على الحقبة الظالمة التى عاشت فيها تونس آنذاك.

---

١ - ثمل : سكر .

٢ - الشـــعر وطوابعـــه الشـــعبية علـــى مـــر العصـــور د/ شـــوقى ضـــيف ص ٢٢٦،٢٢٧.

ويتوعد الشاعر هذا المستعمر البغيض ويثور عليه ، ويخبره بأن ثمة رجالا يثأرون لعزهم ، ويرون فى الذل سبة وعارا ، لا يرهبون الموت ولهم نفوس أبية تتحطم عليها قيود الذل والهوان ، فيقول من قصيدة بعنوان (زئير العاصفة) [1]:

فيا أيها الظلم المصعر خـــده ... رويدك إن الدهر يبنى ويهدم [2]

سيثأر للعز المحطم تاجـــه ... رجال إذا جاش الردى فهم هم

رجال يرون الذل عارا وســبة ... ولا يرهبون الموت مقـــــدم

وهل تعتلى إلا نفـــوس أبية ... تصدع أغلال الهوان وتحطـم [3]

والشاعر فى أبياته السابقة استعان ببعض الألفاظ والعبارات التى تشير إلى ثورته الوطنية التى تعد أصدق تعبير عما يموج فى قلبه من مشاعر الكره والحقد لهذا المستعمر الذى وصفه بالظلم نفسه حيث يقول (أيها الظالم) على سبيل التوبيخ والإنكار واستخدم الأساليب البلاغية المتنوعة من نداء فى قوله السابق ، وتوكيد فى قوله (إن الدهر يبنى ويهدم) والشرط فى قوله (إذا جاش الردى فهم هم) والنفى فى قوله (لا يرهبون الموت مقدم) والنفى والاستثناء فى قوله (وهل تعتلى إلا نفوس أبية) وغيرها كأفعال المضارعة التى تشير إلى مواصلة الجهاد والنضال

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٣٥، وينظر أغانى الحياة ص٤٢.

٢ - المصعر خده : المائل خده .

٣ - الأغلال : القيود ، الواحد : غل .

كقوله (يثأر للعز) و (يرون الذل عارا وسبة) وقوله (لا يرهبون الموت) وقوله (تعتلى ، تصدع ، وتحطم).

ويخاطبه الشاعر فى قصيدة أخرى له بعنوان (إلى الطاغي) فيقول[1]:

أغرك أن الشعب مغض على قذى وأن الفضاء الرحب وسنان مظلم[2]

ألا إن أحلام البلاد دفينـــــة تجمجم فى أعناقها ما تجمـجم[3]

ولكن سيأتى بعد لأى نشورهـــا وينبثق اليوم الذى يترنـــم[4]

هو الروع إن هب الضعيف ببأسه ستعلم من منا سيجرفه الـــدم

إلى حيث تجنى كفه بـــذر أمسه ومزدرع الأوجاع لابد ينـــدم[5]

ستجرع أوصاب الحياة وتنتشى فتصغى إلى الحق الذى يتكلم

يوضح الشاعر لهذا المستعمر أن الدهر الذى رفعه إلى الذرى حرى أن يهوى به إلى الدرك الأسفل فلا يختال طغيانا ، ولا يغتر بما قد حدث لهذا الشعب المستضعف ، أو بما يراه من استكانة ظاهرة على وجهه ، فسيقوم رجال الشعب وحماته بالثأر لوطنهم وشعبهم ، هؤلاء الرجال يرون الذل وصمة عار لا تمحى ، كما أنهم لا يرهبون الموت أو الإقدام فى ساحته واقتحام عرينه ، ولئن كان الاستعمار قد استخدم السياسة

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٣٦، وينظر : أغانى الحياة ص ٤٣.
٢ - وسنان : ناعس .
٣ - يجمجم : لا يبين كلامه .
٤ - اللآى : الإبطاء والشدة .
٥ - مزدرع الأوجاع : مستقرها ، وازدرع بمعنى زرع .

الخبيثة والطرق الدنيئة ليحقق أهدافه ومطامعه فإن على الشعوب التى ترزح تحت نيرانه ألا تيأس أو تستلم ، وإنما تكافح لتعيش حياة حرة كريمة.

ولا يخفى ما فى الاستفهام الإنكارى التوبيخى فى قوله (أغرك) ، مـــن بلاغة وأتى ببعض العبارات الشعرية الجميلة مثل قوله (سيجرفه الدم ، ستجرع أوصاب الحياة) حيث وصف له ثورة الشعب بالسيل والعواصف المتقدة ، وهذا الوصف هو صورة حية لثورته على الظلم والاستعمار.

وتبدو ثورته الوطنية كذلك فى ألفاظه وعباراته الشعرية الأخرى كقوله (تجمجم ، هو الروع ، هب الضعيف وسيجرفه الدم ، يندم ، ستجرع أوصاب الحياة ، الأوجاع) ، هذا بالإضافة لبعض الألفاظ الأخرى التى تشير إلى قرب إنبلاج الفجر مثل قوله (الفضاء الرحب ، أحلام البلاد ، ينبثق اليوم ، فحق الذى يتكلم) وهذه الألفاظ والعبارات الشعرية نابعة عن عاطفة حارة وتجربة شعرية صادقة عاشها الشاعر وخاض غمار أحداثها.

وتتجلى ثورة الشاعر الوطنية فى تلك القصيدة التى قالها ليلهب بها حمية شعبه ، ويثور فى وجه المستعمر حيث يقول [1]:

إذا الشعب يوما أراد الحيـــــاة فلابــد أن يستجيب القــدر

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابي ص٧١،٧٠، وينظر : أغانى الحياة ص ١٦٧.

ولابـــــد لليل أن ينجـــلى ... ولابـــد للقيد أن ينكســـر

ومن لم يعانقه شوق الحيـــاة ... تبخر فى جـــوها واندثر [1]

فويل لمن لم تشقه الحيـــاة ... من صفعة العدم المنتصـــر [2]

كذلك قالت لى الكائنـــــات ... وحدثنى روحهـــا المستتر

ودمدمت الريـــح بين الفجاج ... وفوق الجبال وتحت الشجـــر [3]

إذا مـــا طمحت إلى غايـــة ... ركبت المنى ونسيـت الحـذر

ولم أتجنب وعور الشعـــاب ... ولا كبة اللهب المستـــعر [4]

ومن لا يحب صعود الجبـــال ... يعش أبد الدهر بين الحفـــر [5]

فعجت بقلبى دمـــاء الشباب ... وضجت بصدرى رياح أخـر [6]

وأطرقت أصغى لقصف الرعـود ... وعزف الرياح ووقع المطـر [7]

وقالت لى الأرض لما ســـألت ... أيا أم هل تكرهين البشـــر؟

أبارك فى الناس أهل الطمـــوح ... ومن يستلذ ركوب الخطـــر

وألعن من لا يماشى الزمـــان ... ويقنع بالعيش عيش الحجـر

هو الكون حى يحب الحيـــاة ... ويحتقر الميت مهما كبـــر

---

١ - اندثر : زال من الوجود .
٢ - صفعه : ضرب قفاه بجمع كفه لا شديدا .
٣ - الدمدمـة : الغضـب ، ودمـدم عليـه : كلمـه مغضـبا ــ والفجـاج : جمـع الفـج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين.
٤ - الشعاب : جمع الشعبة : ما عظم من سواقى الأودية ــ والكبة : الدفعة فى القتال والجرى .
٥ - أبد الدهر : أى على الدوام .
٦ - عجت : أى صحت وارتفع صوتى ، وعجت الريح : اشتدت فأثارت الغبار ، ويريد بأن دماءه تحركت .
٧ - أطرقت : سكتت ولم أتكلم ، وأرخيت عينى إلى الأرض .

فلا الأفق يحضن ميت الطيــور ولا البخل يلثم ميت الزهــر

ولولا أمومة قلبى الرؤوم لما ضمت الميت تلك الحفـــر [1]

فويل لمن لم تشقه الحـــياة من لعنــة العدم المنتصر

يستثير الشاعر فى هذه الأبيات أمته العربية كى تنهض لتثأر لكرامتها ، وتدمر المستعمر وترمى به إلى ما وراء البحر ، لأن أمته وشعبه لا يستطيع أن يحيا حيــاة كريمة إلا إذا ثار فى وجه هؤلاء الطغاة ، واقتحم على العدو حصونه وقيوده ولن يخرج الشعب من حالة الموت التى يحيا فيها إلى حالة الحياة إلا إذا نشط فيه دافع الحياة ، وأبدى إرادته وعزمه ، وهذه الإرادة لا تنجم إلا من حرارة الأشواق التى تمور بداخله ، وإذا خمدت أشواق الحياة لديه فقد الطموح فى أن يحيا حياة كريمة ، وصار حيا كأنه ميت ، أو ميت كأنه حى .

ويبدو توفيق الشاعر فى أسلوبه حيث استخدم أسلوب الشرط فيه ، كما استخدم الألفاظ الدالة على استبداد المستعمر وطغيانه مثل قوله (للقيد، ينكسر ، اندثر ، الحفر ، قصف الرعود ، الخطر ، ميت الطيور ، ميت الزهر) كما استخدم الألفاظ الدالة على الطموح والإقبال على الدنيا مثل قوله (الحياة ، طمحت ، لبست المنى ، خلعت الحذر ، الكون حى يحب الحياة)، فالألفاظ الأولى يرفع فيها أمته لتثور ثورة فيها جرأة حتى تفتدى نفسها وتأثر لكرامتها وعزتها ، والثانية يعبر بها عن إقباله على

---

١ - الرؤوم : العطوف

الدنيا ورفضه عيش الذل والاستكانة ، وهذا يدل على بصره وتمكنه من لغته الشعرية .

ويحدد الدكتور عبد القادر القط الجديد فى هذه القصيدة ، فيقول إن الجديد " هو ما بها من تعميم يقوم على عرض الفكرة التى يحولها الشاعر من خلال وجدانه ومجتمعه وصوره الرومانسية إلى إحساس كاليقين بإرادة الحياة ، وبأنها تمضى فى دوارات متعاقبة ، يبدو بعضها وقد شاع فيه وهو ليس فى الحقيقة إلا مرحلة من مراحل الإنتقال والتهيؤ لحياة جديدة ، ويتخذ الشاعر من البذرة التى تدفنها ثلوج الشتاء حتى يأتى الربيع فتورق وتزهر وتثمر من جديد رمزا لهذا التجدد الدائم "[1]

وهو يرمز بذلك إلى ما تعانى منه الشعوب من خمول وخمود يدل على البأس واليأس وإن انطوى على إرادة الحياة الكامنة التى لا يفطن إليها إلا كل ذى إرادة تعلو على لحظات اليأس والقنوط .

وقد أشار الشاعر إلى ذلك فى مقدمة قصيدتة ، ثم عاد وصرح به مرة أخرى فى ختامها حيث يقول [2] :

وأعلن فى الكون أن الطموح	لهيب الحياة وروح الظفر
إذا طمحت للحياة النفــوس	فلابد أن يستجيب القــدر

---

١ - الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربي المعاصر ص٣١٢.
٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص٧٣، وينظر:أغانى الحياة ص١٧٠.

وتتجلى شاعريته فى ربطه أول القصيدة بآخرها فالشطر الأول من البيتين الأول والأخير فيها إرادة وطموح للحياة فيقول (أراد الحياة) (طمحت للحياة نفوس) وكرر الشطر الثانى بأكمله فى البيت الأخير (فلابد أن يستجيب القدر) حيث الرجاء والأمل فى نصرة الله عز وجل .

وتبدو صيحاته الثورية فى هذه الأبيات التى يقول فيها [1] :

أيها الشعب ليتنى كنت حطابـــا	فاهوى على الجـــذوع بفـأسي
ليتنى كنت كالسيول إذا ســـالت	تهد القبـــور رسمـــا برسمى
ليتنى كنت كالرياح فأطـــــوى	كل مـــا يخنق الزهور بنحسى
ليتنى كنت كالشتـــــاء أغشى	كل ما أذبل الخريف بقـــرسي[2]
ليت لى قوة العواصف يا شعبى	فالقى إليـــــك قـــوة نفسى
ليت لى قوة الأعاصير إن ضجت	فأدعوك للحيـــــاة بنبسى[3]
ليت لى قوة الأعاصير لكـــن	أنت حى يقضى الحياة برمسى[4]

إلى ان يقول :

إننى ذاهب إلى الغاب يا شعبى	لأقضى الحياة وحدى بيأس

فى هذه الأبيات من قصيدة (النبى المجهول) يمزج الشاعر بين عواطفه الذاتية ومشاعره الوطنية حيث يتمنى أن لو كانت له قوة

---

١ - المصدر السابق ص ٩٣ ، وينظر : أغانى الحياة ص ١٣.
٢ - القرس : البرد الشديد .
٣ - النبس : التكلم بسرعة .
٤ - الرمس: القبر

السيول والشتاء والعواطف والأعاصير والرياح ليقضى على كل ما يشيع القبح والهوان فى الحياة لكنه ينفث غضبه على شعبه ، حين يتجه إلى الغاب ليدفن فيها بؤسه ويأسه ، فمحبة الشاعر لشعبه هى التى جعلته يطلق تلك الصيحات الثورية كى تثير فيه الحمية وروح الثورة ليدمر أعدائه ، وهو بذلك يعبر عن مكنون نفسه نحو وطنه لأنه يشعر بآلامه ويشهد جور عدوه ومحاولته إخماد كل صوت حر شريف ويبدو أن الشاعر قد سئم النصح والدعوة إلى الجهاد والدفاع عن الوطن حين رأى النصح لم يقع موقعه فزرفت عيناه بالدمع فقال [١] :

لست أبكى لعسف ليل طويـل ... أو لربع غدا العفاء مراحله [٢]

إنما عبرتى لخطب ثقيـــل ... قد عرانا ولم نجد من أزاحه [٣]

كما قام فى البـــلاد خطيب ... موقظ شعبه يريد صلاحـه

ألبسوا روحه قميص اضطهـاد ... فاتك شائك يرد جماحـــه [٤]

أخمدو صوته الإلهى بالخسف ... أماتوا صداحـــه ونواحه [٥]

وتوخوا طـرائق العسف والإر ... هاق توا وما توخوا سماحة [٦]

هكذا المخلصون فى كل صوب ... رشقات الردى إليهم متاحة [٧]

---

١ ـ ديوان أبى القاسم ١٦٠،١٦١ ، وينظر أغانى الحياة ص ١٣.
٢ ـ العسف بالليل : الخبط على غير هدى ،والاعتساف ينبغى طلبه ــ المراح ثلاث شعاب ينظر بعضها إلى بعص ــ العفاء الزوال
٣ ـ عرانا : غشينا.
٤ ـ الجماح والجموح يمعنى التمرد.
٥ ـ الخسف : الظلم ـ الصداح : رفع الصوت بغناء.
٦ ـ توخى : تعمد.
٧ ـ الردى: الهلاك.

ويطالب الشاعر باقتلاع جذور الاحتلال من الوطن فيقول [١] :

كل قلب حمل الخسف ومـا ... مل من ذل الحيـاة الأرذل [٢]

كل شعب قد طفت فيه الدما ... دون ان يثأر للحق الجـلي

خله للموت يطويه فمـــا ... حظه غير الفناء الأنكـــل [٣]

ومرد سئم الشاعر فيما سبق إلى اضطهاد من يقوم بالنصح والاصلاح ، حيث يرد جماحه ويخمد صوته ، وتوجه إليه سهام الردى ورشقات الموت ، وتحديدا لذلك فى قوله (ألبسوا روحه قميص اضطهاد) ويردون جماحه ، أماتوا صداحة ونواجه وكشف من خلال أفعال الماضى (ألبسوا ، وأخمدوا ، أماتوا ، توخوا) عن سرعة الهدم والاضطهاد لذا نرى الشاعر يثير همة شعبه الذى الذى يغط فى بحور الضعف والاستكانة فيقول[٤]:

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس ... أين الطموح والأحـــــلام

أين يا شعب روحك الفتـــــان ... أين الخيال والإلهـــــام

أين يا شعب فنك الساحر الخـلاق ... أين الرسوم والأنغـــــام

أن يم الحياة يدوى حواليـــك ... فأين المغامـــر المقـــدام

أين عزم الحيـــاة لا شئ إلا ... الموت والصوت والأسى والظلام

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٢٣ ، وينظر أغانى الحياة ص ١٤.
٢ - الخسف : الذل ، يقال : سامه خسفا أى ذلا.
٣ - الأنكل : أى الذى ينكل أى يلحق الشر والأذى.
٤ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٣٠، وينظر : أغانى الحياة ص ١٧٥.

ثم يقول :

أى عيش هذا ؟ وأى حياة (رب عيش أخف منه الحمام)[1]

يتجلى استنكار الشاعر الرضوخ والخنوع فى كل بيت من الأبيات السابقة حيث يقول : أين يا شعبك الخفاق ، أين روحك الشاعر والفتان أين الخيال والإلهام ، أين .... ، أين .... ، أين ..... ، أين .... ، ولما لم يجد من استفهامه مجيبا ختم يقول المتنبى (رب عيش أخف منه الحمام) أى الموت.

يعجب من صعب الإنسان تجاه حقوقه الطبيعية ويستنكر عليه الرضوخ للمستعمر المستبد ، فيطالبه بالثورة على من سلبوه حقه ، وبأن ينهض من كبوته ويفيق من غفوته فيقول[2]:

فمالك ترضى بـــــذل القيود وتحنى لمن كبلوك الجبــاة؟

وتسكت فى النفس صوت الحياة القوى إذا ما تغنى صــداه؟

وتطبق أجفانك النيرات عن الـ ـفجر ، والفجر عذب ضياه

وتقنع بالعيش بين الكهـــوف فأين النشيد ؟ وأين الإياه؟[3]

أتخشى نشيد الســماء الجميل؟ أترهب نور الفضا فى ضحاه

ألا انهض وسر فى سبيل الحياة فمن نام لم تنتظره الحيـــاه

ولا تخش مما وراء التـــلاع فما ثم إلا الضحى فى صبــاه

---

١ - الحمام : قضاء الموت وقدره ، وعجز البيت من بيت للمتنبى.
٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٥٩ ، وينظر أغانى الحياة ص ٨٨.
٣ - الإياه : يعنى الشعاع.

يصورالشابى فى هذه الأبيات الاستكانة والخضوع التامين من الإنسان لواقعه المرير ، حيث يتقاعس فى نشدان حريته ويرضى بذل القيود ويحنى للمستعمر الجباه ، ويسكت صوت الحياة ، ويطبق أجفانه عن الفجر ، ويقنع بعيشه فى المدر ، ويخشى نشيد السماء الجميل ، ويرهب نور الفضاء الجليل ، وذلك عن طريق الاستفهام التوبيخى والفعل المضارع الذى يشير إلى استمرارية الإنسان فى واقعه الأليم (ترضى ، تجنى ، تسكت ، تطبق ــ تقنع ، تخشى ، ترهب) ومن ثم نراه يلجأ فى بيتيه الأخيرين إلى أسلوب الأمر فى قوله (انهض ، سر) والنهى فى قوله (لا تخش) وفى أبيات أخرى نراه يشبه الظلم الذى يلف الشعوب بالليل الساكن ، وأصوات الأحرار المنادين بالحرية بصوت لارعد فى هدأة الليل ، فيقول [1]:

فى سكون الليل لمـــا عانق الكون الخشوع

واختفى صوت الأمــانى خلف آفاق الهجـوع[2]

رتل الرعـــــد نشيدا رددته الكائنـــات

مثل صوت الحق إن صا بأعماق الحيـــاة

ثم يقول :

أترى أنشودة الرعـ ـــــد أنين وحنين

رنمتها بخشـــوع مهجة الكـون الحزين

١ - ديوان أبى القاسم ص ٩٩، وينظر : أغانى الحياة ص ١٨.

٢ - الهجوع : النوم ليلا.

أم هى القـــوة تسعى باعتساف واصطخاب[1]

يتراءى فى ثنايـــــا صوتها روح العذاب؟

ويصور الشاعر فى أبيات أخرى نفسه حزينا مكتئبا بسبب رضوخ شعبه والصورة التى أصبح عليها وطنه فيقول :

مزقت ثوب ســـكون الليل أنـــــات كليم

بين طيات سجاف الفا سق الداجـــى البهيم[2]

حركت منى شعـــورا كان من قبل رميـــم[3]

فتحسست مكان الصو ت فى ذاك الأديـــم[4]

فإذا بالأرض ملقـــى هيكل نضو كلـــوم[5]

عفرته الترب والعيـ ـن على الخد سجوم[6]

فتأملت مليـــــــا وجهه تحت الغيـــوم

فإذا الملقى بـــوادى وطنى جسم العلـــوم

يصور الشاعر وطنه فى الأبيات السابقة بأنه هيكل مهزول جريح ، له أثاث كليم كأنه إنسان عليل مهزول مجروح أشعث أغبر تذرف من مقلتيه الدموع ، يحتاج إلى من يدفع عنه الأذى والضر ، والظلم والجور

---

١ - الاعتساف :الظلم والخبط على غير هدى.
٢ - ديوان أبى القاسم ص ١٢٧.
٣ - الرميم : البقايا المحطمة.
٤ - أديم النهار : بياضه.
٥ - نضو : مهزول - كلوم : جريح.
٦ - سجوم : تذرف الدمع.

والخور ، لكى يحيا جميلا حرا أبيا ، لذا نرى الشاعر يحث أبناء وطنه على النهوض بعزم مستقيم فيقول[١]:

يا بنى الأوطان هبوا فلقد طال الوجود[٢]

وانهضوا نهضة جبا ربعزم مستقيم

ويبين أن سر النهوض يكون فى العزم فيقول[٣]:

لا ينهض الشعب إلا حين يدفعه عزم الحياة إذا ما استيقظت فيه

والحب يخترق الغبراء مندفعا إلى السماء إذا هبت تناديه[٤]

والقيد يألفه الأموات ما لبثوا أما الحياة فيبليها وتبليه

ومن خلال ما تقدم من نماذج شعرية وطنية نلحظ أن الشابى كان ثائرا فى دعوته لمناهضة الظلم حينا ، ويائسا من صحوة قومه حينا آخر ، لكنه كان لديه إيمان قوى بقدرة الشعب على تحقيق رغباته ، يدل على ذلك ما كان يورده من عبارات تشعر بالأمل فى ذلك ، مثل قوله (فلابد لليل أن ينجلى ، ولابد للقيد أن ينكسر) فمثل هذه العبارات تتجاوب معها النفس ومن خلالها تتطلع إلى تحقيق أمنياتها والتغلب على آلامها ، كما أعانه فى ذلك عاطفته الشعرية الحارة ومشاعره وأحاسيسه الصادقة التى بثت معانيه وأفكاره زفرات حرى يدفع من خلالها أبناء مجتمعه إلى الجهاد والنضال ، كما أعانه فى ذلك بعض الصور الشعرية النابضة ،

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٢٧.
٢ - الوجوم : العبوس.
٣ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٨١ ، وينظر: أغانى الحياة ص ١١٨.
٤ - الغبراء : الأرض.

حيث يصور فى بعض أبياته المستعمر بالظلم نفسه فيقول (فيا أيها الظلم المصعر خده...) ، كما استخدم بعض الأساليب البلاغة المتنوعة ، كأسلوب الاستفهام المجازى الذى قصد به الإنكار والتوبيخ والإنكار كقوله (أين يا شعب قلبك، أين يا شعب روحك ، أين يا شعب فنك ، أين عزم الحياة).

واستخدم أسلوب النفى كقوله (لم أتجنب وعور الشعاب) ، وقوله (لست أبكى لعنة ليل طويل) ، وأسلوب الاستثناء كقوله (وهل تعتلى إلا نفوس أبية...) وأسلوب الشرط كقوله (إذا الشعب يوما .... فلابد ....) وقوله (ومن لم يعانقه ... تبخر...) وقوله (ومن لا يحب صعود الجبال يعش...)، وأسلوب التمنى والتشبيه كقوله (ليتنى كنت كالسيول ، ليتنى كنت حطابا، ليتنى كنت كالرياح ، ليت لى قوة العواصف ، ليت لى قوة الأعاصير.

واستخدم أسلوب الاستعارة بكثرة كقوله (أشربته الدمع، سيجرفك السيل، يأكلك العاصف ، والموت مقدم ، تجئ كفه بذر أمسه ، دمدمت الريـــح ، ركبت المنى ، رتل الرعد نشيدا ، رددته الكائنات ، صوت الحق ، أنشودة الرعد، مهجة السكون الحزين ، روح العذاب ، ثوب السكون).

واستخدم الشاعر بعض العبارات الرومانسية التى حدث فيها الطبيعة كقوله (قالت لى الكائنات وحدثنى روحها المستر) وقوله (وقالت لى الأرض لما سألت ...) كما استخدم بعض الحكم والأمثال كقوله (ومن

يبذر الشوك يجنى الجراح)، وما سبق يعد دليلا واضحا على ظهور الثورة الوطنية فى شعره بكثرة ووفرة وأنه عرضها عرضا جيدا.

الفصل الثانى
مظاهر الثورة فى شعره الاجتماعى

إن الحياة الاجتماعية هى انعكاس لما فى المجتمع من نظم فى الحكم أو من مرونة أو تقدم أو تخلف فى مناحى الحياة[١]، والمجتمع السليم هو الذى تتضامن وحداته فى حياته ، فيكون لكل وحدة دورها فى كيانه ووجوده وتكاليفه وواجباته ، ولا يوجد الأدباء فى الأمة عبثا فهم لها هداة الطريق ، وهم مرآتها الصافية النقية التى ينبغى أن تصور آلامها وآمالها، ومواقعها وكل ما حلمت به فى الماضى وتحلم به فى الحاضر ، وإن الأديب من أمته ولها ، يذيع أفكارها ومشاعرها وكل ما هزها وأثر فيها من أحداث ظاهرة أو باطنة[٢].

والأديب وإن بدا فى أدبه منفصلا عن مجتمعه فإنه يتصل به وبقيمه، إذ أنه لا يستطيع أن يعيش يوما منعزلا عن مجتمعه وما يمور فيه من أحداث ، وسواء صور الأديب أو الشاعر المجتمع أو صور نفسه أو صور الحياة الإنسانية العامة فإنما يصدر عن روح مجتمعه وروح أفراده الذين يخالطهم ، ويستمد من كل ذلك وحيا لعواطفه ومشاعره ، وهو حين يصور نفسه فى عمله إنما يصور من خلال ذلك مجتمعه ، لأنه

---

١ - المجتمع فى شعر أحمد الزين لعبدالرحمن خليل إبراهيم ص ١٥٥.
٢ - فى النقد الأدبى د/ شوقى ضيف ص ١٩١.

لا يحلق بعيدا عنه، بل يمتزج فيه ، وتكون صورة نفسه منبثقة من أحاسيس مجتمعه[١].

والأديب يلعب دورا كبيرا فى ثورات الشعوب وحركاتها الاستقلالية والاجتماعية ، إذ إنه محرك لإرادة الشعوب ومصور لواقع المجتمع ، ومن ثم فإنه يتطلب منه القدرة على إلقاء الضوء على مجريات الأحداث ووصفها وصفا يثير القارئ[٢]، وما يبثه الأديب أو الشاعر من آثار أدبية إنما هو ضرورة للمجتمع الذى يحتاج إلى من يحرك بواعثه ويمده بالقوة والحيوية ، ويظهر ما ينتابه من سعود ونحوس وتخلف ونهوض[٣].

ولقد كان المجتمع التونسى فى زمن الشاعر مفككا يتفشى فيه الجهل والظلام والأوضاع الاجتماعية الرجعية ، مجتمعا ضعيفا يسيطر عليه الجمود والخمود ، مجتمعا تضافرت عليه وسائل الهدم متمثلة فى الرجعية المتآمرة بأفكارها العميقة التى تدعى أن كل مجدد ثائر عاق للدين عاص لله ، ومتمثلة فى القوى الفرنسية الاستعمارية الغاشمة المتعسفة التى تعمل على نشر الفقر والجهل والضلال والمرض وسائر الأوصاب الرامية إلى قتل روح الحياة فى المجتمع.

كان على الشابى إذن أن يكافح ليبنى المجتمع الذى يريده ويتمثله ، ويهدم الحواجز التى تعوقه ، فثار على تلك الأوضاع الاجتماعية والقيود الرجعية ، وخرجت أشعاره صارخة بالتجديد والبناء والإصلاح ومحاربة

---

١ - المرجع السابق ص ١٩٢ ، ١٩٣، ١٩٩.
٢ - فى الأدب والنقد د/ محمد مندور ث ٤٣، ٤٥.
٣ - دراسات فى القصة والمسرح محمود تيمور ص ٣٠٢.

الأوهام والخدع والمؤامرات الاستعمارية ، والقضاء على أوصاب المجتمع ورزاياه.

فيتعجب الشاعر من صمت قومه تجاه القضايا التى تستهدف وجودهم، يقول مخاطبا الشعب الذى لم يحرك ساكنا ، ولم يعد متأثرا بما حوله[1]:

قد مشت حولك الفصول وغنتك ... فلـــم تبتهج ولـــم تترنم

ودوت فوقك العواصف وأنـواء ... حتى أوشكت أن تتحطـــم[2]

وأطافت بك الوحوش ونـاشتك ... فلم تضطرب ولـــم تتألم[3]

يا إلهى أما تحس؟ أما تشدوا؟ ... أما تشتكى؟ أمـــا تتكلم؟

مل نهر الزمان أيامك الموتى ... وأنقاض عمـــرك المتهدم

أنت لا ميت فيبلى ، ولاحـــى ... فيمشى بل كائن ليس يفهم

أبدا يرمق الفراغ بطـــرف ... جامد يرى العوالم مظلـــم[4]

أى سحر دهاك هل أنت مسحور ... شقى؟ أم مارد يتهكم؟

نجد الشابى يتعجب من عدم إحساس شعبه بقضاياه وحريته ويزداد تعجبه من عدم شكواه لأن الشكوى يكون فيها الإحساس بالألم وهذا ما جعله يصفه بأنه ميت ، أو أنه يعيش بين الموت والحياة ، يدرك الحقائق ولا يقدر الأمور.

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٣١ ، وينظر أغانى الحياة ص ١٧٥.
٢ - الأنواء : جمع النوء : النجم مال الغروب.
٣ - ناشه : تناوله.
٤ - يرمق : ينظر نظرا خفيفا.

لذا فإنه يصنف الناس فى مجتمعه إلى صنفين : يائس ومستبشر ، ومتقاعس ، وعامل ، يقول فى ذلك[1]:

الناس شخصان : ذا يسعى به قدم من القنوط ،وذا يسعى به الأمل[2]

هذا إلى الموت والأجداث ساخرة وذا إلى المجد والدنيا له حول[3]

فيشير الشاعر إلى أن البائس حين يموت فإن القبور لا تحتفى به ، بل ستسخر منه ، وأما المستبشر والمناضل من أجل حريته واستقلاله فإن صلته بالحياة لن تنقطع بعد موته ، فسيخلد بما حققه من أمجاد وما جناه من بطولات.

وتشتد ثورة الشاعر على مجتمعه لما يراه فيه من خمول وخمود فيقول[4]:

أيها الشعب أنت طفل صغير لاعب بالتراب والليل مغس[5]

أنت فى الكون قوة لم تسسها فكرة عبقرية ذات بأس

أنت فى الكون قوة كبلتها ظلمات العصور من أمس أمس

وهو فى هذه الأبيات استطاع أن يورد من الألفاظ ما يناسب الحالة التى عليها مجتمعه وشعبه ، فهو طفل صغير يلعب بالتراب فى ليل مظلم، وهو قوة لم تقدها فكرة عبقرية ذات بأس ، وهو قوة قيدتها ظلمات

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٢٠، وينظر : أغانى الحياة ص ١٧.
٢ - القنوط : اليأس.
٣ - الأجداث : جمع الجدث : القبر - الحول : ما أعطاك الله تعالى من النعم والعبيد والإماء.
٤ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٩٤، ٩٥ - وينظر : أغانى الحياة ص ١٠٣.
٥ - مغسى : مظلم.

العصور من زمن بعيد ، وهذا يدل على أن الشابى شاعر جيد "امتلك الأداة اللغوية امتلاكا تاما وقدر على تصريفها فى السبيل التى يريد"[١].

ويتحدث الشاعر فى أبيات أخرى عما فى مجتمعه من متناقضات وانحراف النفس الإنسانية فيقول[٢]:

كرهت القصور وقطافهـــا وما حولها من صراع عنيـف

وكيد الضعيف لسعى القـوى وعصف القوى بجهد الضعيف

وجاشت بنفسى دموع الحياة وعجت بقلبى رياح الصـروف[٣]

لقلب الفقير الحليم الكســير ودمع الأيامى السفيح الذريـف[٤]

لاشك أن ما يعانيه الشاعر فى هذه البيات أمر جد خطير يتجلى ذلك فى عباراته الشعرية التى تدل على الانحراف والمتناقضات فى مجتمعه ، يقول: "كرهت العصور ، صراع عنيف ، كيد الضعيف ، عصف القوى ، دموع الحياة ، الصروف ، الحطيم الكسير ، السقيم الذريف" ، ويزداد حزنه لما شاع فى مجتمع المدينة من انحراف ومظاهر فاسدة ، فيقول[٥]:

ماذا أود من المدينة وهى غا رقة بموار الـــدم المهدور[٦]

ماذا أود من المدينة وهى لا ترثى لصوت تفجع الموتور[١]

---

١ - مطالعات فى الشعر المملوكى والعثمانى د/ بكرى شيخ أمين ص ٣١٤.

٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٠٤، وينظر: أغانى الحياة ص ٦٢.

٣ - جاش : اضطرب وتحرك - عج : صاح ورفع صوته - الصروف : حدثان الدهر ونوائبه.

٤ - الأيامى : جمع الأيم ، وهى التى لا زوج لها بكرا أو ثيبا - الدمع الذريف : أى المذروف والسائل.

٥ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٨٥ ، وينظر أغانى الحياة ص ٥٦.

٦ - الموار : الذى يتحرك ويحوج.

ماذا أود من المدينة وهى لا تعنو لغير الظالم الشرير[٢]

ماذا أود من المدينة وهو مر تاد لكل دعارة وفجور

ففى هذه الأبيات يعبر عن ضيقه وضجره من تفشى القسوة والظلم والمظاهر الفاسدة فى مجتمعه ، ويعلن رفضه لتلك الأمراض الاجتماعية التى شاعت انتشرت وأضحت سمة من سمات مجتمعه ، وخلقا من أخلاقيات أبنائه ، وهذا ما دعاه لأن يقول عنهم[٣]:

أى ناس هذا الورى ؟ ما أرى إلا برايا شقية مجثوثة[٤]

جبلتها الحياة فى ثورة اليأس من الشر كى تجن جنونه

فاقامت له المعابد فى الكو ن وصلت له وشادت حصونه

ويتعجب الشاعر من إنسان لا يلقى بالا لما يحمله الناس من هموم ، فيقول[٥]:

يا رفيقى أما تفكرت فى النـ ـاس وما يحملون من آلام

فقد حز فى فؤادى ما يلقون من صولة الأسى الظلام

فإذا سرنى من الفجر نور ساءنى ما يسر قلب الظلام

كم بقلب الظلام من أنة تهفو بغصات صبية أيتام

ولشيخ مضرم من فتاة أيقظتها قوارع الأيام[٦]

---

١ ـ الموتور: الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه.
٢ ـ تعنو : تخضع.
٣ ـ ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٧٢ ، وينظر أغانى الحياة ص ١١٩ .
٤ ـ الورى : الخلق ـ البرايا : المخلوقات .
٥ ـ ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٤٤، وينظر أغانى الحياة ص ٧٣ .
٦ ـ النشيج : الغصة فى البكاء ـ قوارع الأيام : أى نوائب الأيام .

ونواح يفيض من قلب أم فجعت فى وحيدها البســـــام

فطم الموت طفلا وهو نور فى دجاها من قبل عهد الفطام

وأتين من معدم ذى سقام عضه الدهر بالخطوب الجسام[1]

فالشاعر يتعجب فى الأبيات ممن لا يوجه اهتمامه لما يصيب غيره من ألم وما يقاسيه الناس من آلام ، حيث يوجد أطفال أيتام فقدوا القلب الرؤوم ، وبكاء شديد من فتاة أصابها نوائب الدهر ومصائب الأيام ، وأنين معدم نكبه الدهر بمصائبه ورزاياه ، ولاشك أن الشاعر إنما أثرت فيه تلك المشاهد فى مجتمعه تأثيرا كبيرا ، خاصة وأنه عانى حالة اليتيم التى أحاقت به من قبل ، فجعلته يبكى للمحرومين والمظلومين ، ويثور على المنعمين ممن لا يسدون لهؤلاء جميلا أو معروفا يقول :

عجبـــا للنفوس وهى بواك عجبا للقلوب وهـــو دوام

كيف تشدو فى محاجرها الدمع وتلهو ما بين سود المـوامى[2]

يا رفيقى لقـــد ضللت طريـ ـيقى وتخطت محجتى أقدامى

خـــذ بكفى فإننى تائـــه أعمى كثيرا الضلال والأوهام

وانفخ الناى فالحياة ظـــلام ما لمرتاده من الهول حـــام

ملء أأقه فحيح الأفـــاعى وعجيج الآثـــام والآلام[3]

فانفخ الناى إنـــه هبـــة الأملاك للمستعيذ بالإلهـــام

واغذذ السير فالنهـــار بعيد وسبيل الحياة جم الظـــلام[1]

---

١ - الخطوب : المصائب ، الواحد : الخطب - عضه الدهر: نكبه.
٢ - الموامى : جمع المومأة: الفلاة.
٣ - الآثام: الذنوب.

فالشاعر يتعجب كيف يطيب لنفوس تقطر قلوبها دما أن تجد البهجة والمتعة والسعادة ، فلقد حار فى أمره وأضحى مشتت الفكر ، وأصبح تائها أعمى ، يشعر بظلام من ظلمها ، فيطلب من رفيقه أن ينفخ النار الذى طالما أطرب فى ليالى السمر بما يحدثه فى نفس السامع من موسيقى حالمة ، وأنغام جميلة ، لعل ذلك يزيل ما فى النفوس من ظلام أو يعلو فحيح الأفاعى وأنات الألم من صدور المظلومين.

ويبث الشاعر روح الحماس فى أهل العلم فيقول[٢]:

لقد نام أهل العلم نوما مغنطسا ... فلم يسمعوا ما رددته العوالم[٣]

ويقول لأهل الدين:

سكتم حماة الدين سكتة واجم ... وتمتم بملء الجفن والسيل داهم

سكتم وقد شممتم غضونه ... علائم كفر ثائر ومعالم[٤]

ثم يقول :

أفيقوا قليل النوم ولى شبابه ... ولاحت للألاء الصباح علائم[٥]

إلى أن يقول :

لحى الله من لم تستثره حمية ... على دينه إن داهمته العظائم

لحى الله قوما ما لم يبالوا بأسهم ... بصوبها نحو الديانة ظالم

---

١ - الإغذاذ فى السير : الإسراع فيه.
٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٣٧.
٣ - مغنطس : يعنى انه نام نوم مصطنعا.
٤ - شام : نظر.
٥ - اللآلاء: النعم.

ويبدو أن أراء الشاعر وأفكاره ودوره فى مجتمعه كان سببا فى عداء وكراهية لعض الناس له ، فهاجمه كثيرون ، وحاولوا أن يعزلوه عنهم وشككوا فى شاعريته ، مما أصابع باكتئاب وحزن وإحساس لالغربة فى وطنه ، فقال فى ذلك [١]:

يا قوم عينى شامت لجهل فى الجو نارا[٢]

تتلو سحابا ركاما يتلو قتاما مثارا[٣]

يثير فى الأرض ريحا يهيج فيها غبارا

تلفى الشديد صريعا تبقى الأديب حمارا[٤]

إلى أن يقول:

يا ليت قومى أصاخوا لما قيل جهارا

يا شعر أسمعت لكن قومى أراهم سكارى

فلا تبال إذا ما أعطوا نداك أزورارا[٥]

واصبر على ما تلاقى واصدع وقيث العثار[٦]

ويحاول الشاعر أن يتأى عن شعبه الذى يغمره الحزن ويغلفه اليأس ويعيش حياة الجمود فيقول[٧]:

لاأعني نفسي بأحزان شعبي فهو حي يعيش عيش الجمد[١]

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٨٠، ٨١.
٢ - شامت : نظرت.
٣ - السحاب : الركام المتراكم من السحب ـ القتام : الغبار.
٤ - تلفى : تجد.
٥ - الأزورار : الانحراف
٦ - صدع : أظهر وجهر.
٧ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٦٧، وينظر أغانى الحياة ص ١١٤.

وبحسبي من الأسي مابنفسي　　من طريف مستحدث وتــلاد[٢]

وبعيدا عن المدينة والنـــاس　　بعيدا عن لغو تلك النــوادي[٣]

فهو من معدن السخاء والإفك　　ومن ذلك الهراء العـــادي[٤]

لذا فقد قرر أن يهجر مجتمعه حتي لاتقع عينه علي ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، فلايرضي بذلك قلبه وضميره ، يقول عن ذلك [٥] :

مافي وجود الناس من شئ به　　يرضي فؤادي أو يسر ضميري

فــإذا استمعت حديثهم الفيته　　غثا يفيض بركـــــة وقتور[٦]

وإذا حضرت جموعهم ألفيتني　　مابينهم كالبلبل المأســـــور

متوحدا بعواطفي ومشاعـري　　وخواطري وكآبتي وســروري

ينتابني حرج الحيـــاة كأنني　　منهم بوهدة جندل وصخـــور[٧]

فإذا سكت تضجــرو وإنطقت　　تذمروا من فكرتي وشعــوري

آه من النـــاس الذين بلوتهم　　فعلوتهم فى وحشتى وحبورى[٨]

ما منهم إلا خبيث غـــــادر　　متربص بالناس شر مصير[٩]

---

١ - أعنى : أتعب.

٢ - المــال الطريــف والطــارف : الجديــد المســتحدث ـــ والــتلاد والتليــد : القــديم الموروث.

٣ - اللغو من الكلام : ما لا يلتفت إليه.

٤ - الإفك : الكذب ـ الهراء : الكلام الفاسد ، كثير الخنا والخطأ.

٥ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٨٤ ، وينظر أغانى الحياة ص ٥٥.

٦ - الحديث الغث : الذى لا خير فيه.

٧ - ينتــابنى : يــأتينى مــرة بعد مــرة - الوهدة : الأرض المنخفضــة - الجنــدل : مــا يقله الرجل من الحجارة.

٨ - قلوت : أبغضت ـ الحبور : السرور.

٩ - متربص : منتظر ماذا يحل به.

فالشاعر يصور نفسه بين الناس كأنه سجين سرور مأسور ، لا يجد من يشاركه عواطفه ومشاعره وأحاسيسه وهم لا يتركونه ولا يرضون سكوته ولا يعجبهم إنكاره ، يتصفون بالخبث والغدر وإضمار العداوة والحقد لغيرهم ، لذا فإنه يشعر بينهم بالغربة ، ويحيى فيهم فى حزن وهم وكآبة.

والشعور بالغربة يورث صاحبه الكآبة وإن اجتمعت له كل أسباب الفرح واللهو والسادة يقول فى ذلك[1]:

مهما تضاحكت الحيا ... ة فإننى أبدا كئيب
أصغى لأوجاع الكآ ... بة لا تجيب
فى مهجتى تتأوه البلـ ... ـوى ويعتلج النحيب[2]
ويضج جبار الأسى ... وتجيش أمواج الكروب
إلى أنا الروح الذى ... سيظل فى الدنيا غريب
ويعيش مضطلعا بأحـ ... ـزان الشبيبة والمشيب

وهذه الغربة قد فرضت على نفسها فرضا ، لأن حبه لشعبه ووطنه لم يكن يدانيه حب ، وحرصه على تقدمه والنهوض به ما زال قائما ، فالغربة نشأت من تباين رؤيته للأمور ورؤية الناس لها ، ومنهجه فى الحياة ومنهجهم ، فأصبحوا لا يتفاعلون معه ولا يتجاوبون مع ثورته ، ولا يفطنون إلى أهدافه ومراميه.

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٢٤، ٢٥ ، وينظر : أغانى الحياة ص ٨٥.
٢ - المهجة : الدم أو الروح - يعتلج : يتلاطم - النحيب : شدة البكاء.

وعلى الرغم من أن الشاعر قد أصيب بخصوم لا يقدرون أدبه وشعره فإنه كان يثور عليهم فى أحايين كثيرة ، ويبين لهم انه سيظل متمسكا بالحياة فيقول[1]:

سأعيش رغم الداء والأعـــداء كالنسر فوق القمة الشمـــاء[2]

أرنو إلى الشمس المضيئة هازئا بالسحب والأمطار والأنـواء[3]

لا أرمق الظـــل الكئيب ولا أرى ما فى قرار الهوة الســوداء[4]

وأسير فى دنيا المشاعر حالمـــا غردا وتلك السعادة الشعـراء

أصغى لموسيقى الحياة ووحيهـا وأذيب روح الكون فى إنشائى

ويمضى الشاعر فى طريقه الذى اختطه لنفسه معلنا أنه لن يبالى بما وضع فى طريقه من مخاوف الليل وصواعق البؤس أو نشر حوله من ظلام حالك ، وسيسير بروح حالم متوهج بالنور حتى يوافيه قدره المحتوم، وحينئذ سيكون سعيدا لبعده عن عالم البغضاء والآثام والشرور الذى تعيش فيه هذه الوجوه المغبرة إلى دنيا السعادة والهناءة والسرور ويتوجه الشاعر مخاطبا هذه الوجوه التى تضمر له العداوة والبغضاء وتتمنى هدم بنائه ، فيقول:

وأقول للجمع الذين تجشموا هدمى وودوا لو يخر بنانى[5]

ورأوا على الأشواك ظلى هامدا فتخيلوا أنى قضيت دمـــائى[1]

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١١إلى ١٣ ، وينظر أغانى الحياة ص ١٧٩

٢ - الداء : المرض - القمة الشماء : القمة العالية الشامخة.

٣ - أرنو من الرنو : إدامة النظر - الأنواء : جمع النوء : النجم مال للغرب.

٤ - أرمقه : ألحظه لحظا خفيفا - الهوة : ما انهبط من الأرض.

٥ - تجشموا تكلفوا.

وغدو يشبون اللهيب بكل مـا وجدوا ليشووا فوقه أشلائى[٢]

ومضوا يمدون الخوان ليأكلوا لحمى ويرتشفوا عليه ذمائى[٣]

إنى أقول لهم ووجهى مشـرق وعلى شفاهى بسمة استهـزاء

إن المعاول لاتهد منـــاكبى والنار لاتأتى على أعضـــائى

لكن الشاعر يحاول أن يلتمس لنفسه الراحة والسكينة ، فلا يجد إلا الغاب أنسا له وراحة لقلبه فيقول[٤]:

فى صباح الحياة مضت أكوابى وأتراعها بخمـــرة نفسى

ثم قدمتهـــا إليك فأهرقت رحيقى ودست يا شعب كأسى[٥]

فتألمت ثـــم أسكت آلامى وكفكفت من شعورى وحسى

ثم نضـــدت من أزاهير قلبى باقة لم يمسهـــا أى أنسى

ثم قدمتها إليك فمـــزقت ورودى ودستهـــا أى دوسى

ثم ألبستنى من الحزن ثوبـــا وبشوك الجبال توجـت رأسى

إننى ذاهب إلى الغاب يا شعبى لأقضى الحياة وحـــدى بيأس

إننى ذاهب إلى الغاب على فى صميم الغابات أدفـــن بؤسى

فالشابى يثور على شعبه الذى كان يستقبل شعره استقبالا فاترا ، فصب جام سخطه عليه حين وجده لا يقدر مواهبه ولا يعى قصائده ، وهو وإن كان يثور على شعبه فإنه يثور فى ذلك على من لا يقدر

---

١ - الزماء: بقية النفس.
٢ - الأشلاء : جمع الشلو : العضو.
٣ - الخوان : ما يؤكل عليه الطعام ـ يرتشف : يمتص.
٤ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٤٩، وينظر : أغانى الحياة ص ١٠٢.
٥ - أهرق : أراق - الرحيق : الخمرة.

موهبته الشعرية ولا يشعر بمشاعره وأحاسيسه الداخلية ، ومن ثم وجد الشابى نفسه مجددا متوثب الفكر وسط عقول جامدة ، طموحا إلى الحرية والانطلاق والتجديد وسط قوم سحقتهم التقاليد القديمة البالية ، وأفسدتهم الاستكانة والخضوع للاستعمار ، فكانت ثورته ليرسم من خلالها صورة لمستقبل أمته وبلاده.

الفصل الثالث
مظاهر الثورة فى شعره الذاتى

اختلفت النظرة إلى المرأة ما بين مؤيد ومخالف ، أو رافع من شأنها ومحط من قدرها ، فبعض الشعراء الرومانسيين يرون : "أن المرأة ملك هبط من السماء يطهر قلوبنا بالحب ويرقى بعواطفنا ، ويذكى

شعورنا ، ويشجعنا على النهوض بأعباء واجباتنا الخلقية والسياسية والوطنية ... ولكن إلى جانب هؤلاء كان قليل منهم يرون فى المرأة رأيا مناقضا فهى عندهم شيطان يضل الناس ويغويهم ، وكثيرا ما كان يلجأ إليه الشعراء حين يصفون من غدلان بهم من النساء"[١].

ولقد كانت نظرة الشابى إلى المرأة نظرة طهر وجمال ، وسمو خالص من وصف مر لها أو تصوير مشين يقلل من قدرها ومكانتها ، لذا جاء شعره فيها وعنها خاصا بالجانب الإنسانى الرفيع فيها ، ومزج بين وصفها ووصف مظاهر الطبيعة الجميلة ، وهذا ما جعله يثور على وضعها ومكانتها فى مجتمعه ، وعلى وضعها فى الأدب العربى القديم ، حيث رأى الشاعر العربى القديم ينظر إليها على أنها جسد يشتهى ومتعة من متع العيش الدنئ ، وقال : "لم يعرف العربى تلك النظرة الفنية التى تعد المــرأة كقطعة فنية من فنون السماء ، يلتمس لديها الوحى والإلهام ، ولم يحاول الشاعر العربى أن يحس بما وراء الجسد من روح جميلة ساحرة تحمل بين جنبيها سعادة الحب ، ومعنى الأمومة وهما أقدس ما فى هذا الوجود"[٢].

والشابى فى هذه النظرة متأثر بالطاهر حداد ، الذى عرف فى تونس بأنه نصير المرأة حيث يقول فى كتاب له : "إذا كنا نحتقر المرأة ، ولا نعبأ بما هى فيه من هوان وسقوط ، وإذا كنا نحبها ونحترمها ،

---

١ ـ الرومانتيكية د/ محمد غنيمى هلال ص ١٤٩ .

٢ ـ أبــو القاســم الشــابى شــاعر الحــب والثــورة ص ٢٣٨، وينظــر مجلــة عــالم الفكر ص ٧١.

ونسعى لتكمل ذاتها ، فليس ذلك إلا صورة من حبنا واحترامنا لأنفسنا وسعينا لتكميل ذاتنا"[١].

ونظرة الشابى وغيره إلى المرأة لا تنفصل عن نظرة الشعراء الرومانسيين لها ، فالشاعر الرومانسى حين ينفصل بشعوره عن العالم الواقعى فإنه لا يعيش فى فراغ ، وإنما يعيش بخياله مع أطياف الحب وصوره، ويبنى لنفسه عالما من أغصان الطبيعة وأزهارها يأوى إليه ، ويرتاح فيه ليفكر فى قلبه وفى حبيبته الموعودة ، والشابى كان شاعرا رومانسيا فلا عجب أن نرى أشعار الحب وذكر المرأة عنده حين تشتد به المحن وتكثر عليه الخطوب ، فهو لا ينسى حبه ، وإنما يشرب من نهره الزاخر ليطفئ اللهيب المشتعل فى صدره[٢].

وهذا ما جعله يعلن فى قصائده عن ثورته على وضع المرأة ومكانتها فى المجتمع العربى فيربط بينها وبين الطبيعة ومظاهرها الجميلة فيقول[٣]:

أنت كالزهرة الجميلة فى الغـاب ولكن مـا بين شوك ودود

والرياحين تحسب الحسك الشري والدود من صنوف الورود[٤]

فافهمى الناس إنما الناس خلـق مفسد فى الوجود غير رشيد

ودعيهم يحيون فى ظلمة الإثـم وعيشى فى طهرك المحمود

---

١ - المرجع السابق ص ٣٧.
٢ - الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر ص ٢٨٩.
٣ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٦٨.
٤ - الحسك : الحقد والعداوة ، ونبات له شوك.

كالملاك البرئ كالوردة البيضـاء كالموج فى الخضـــم البعيد

كأغانى الطيور كالشفق الســاحر كالكوكـــــب البعيد السعيد

كثلوج الجبال يغمرها النـــــور وتسمو على غبـــار الصعيد

أنت تحت السماء روح جميـــل صاغه الله من عبيـر الورود

وبنو الأرض كالقرود وما أضـ ـيع عطر الورود بين القرود

فالشاعر يوضح فى بيته الثالث و الرابع والتاسع سبب ثورته على الناس فى مجتمعه بأنهم خلق مفسد غير رشيد يعيشون فى الأرض كالقرود ويحيون فى ظلمات الإثم ، فيطلب من المرأة أن تفهمهم وتنأى عن طريقهم ، لأنها زهرة جميلة ووردة بيضاء وملاك برئ وغناء طير ، وشفق ساحر وكوكب سعيد وثلوج جبال من نور وروح جميل وعطر ورياحين.

وتعد قصيدة الشابى (صلوات فى هيكل الحب) ثورة فى تاريخ الشعر العربى الحديث ، وتاريخا خليقا بأن يؤرخ به لمدرسة جديدة فى أدب العاطفة المحلقة[1].

يقول فى مقدمة هذه القصيدة [2]:

عذبة أنت كالطفولة كالأحـــلام كاللحن كالصباح الجديد

كالسماء الضحوكة كالليلة القمراء كالـورد كابتسام الوليد

١ - بلابل من الشرق ، صالح جودت ص ٢٢.
٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٦٠.

وهذان البيتان يشيران إلى حرص الشاعر على رفع مكانة المرأة فى مجتمعه ، حيث ذكر فيهما تسعة أوصاف ، فهى عذبة كالطفولة والأحلام ، واللحن والصباح الجديد والسماء الضحوك ، والليلة القمراء والوردة وابتسام الوليد.

يقول أحد الأدباء عن هذه القصيدة : "إذا تأملنا هذه القصيدة فإننا نعثر على الخصائص الأساسية لشعر الشاعر ، حيث تتسم الرومانسية التى تحلق فى سماء عالية بجناحين من الألم والجمال ، وقد تراكمت فيها فيها الصور الوصفية ، تلك الصور التى تفيض بالإحساس العميق بالنشوة والإكبار لهذا الجمال.

وقد رسم فيها لوحة ذات بعدين للجمال ، البعد الأول الباطن الروحى الذى يعبر عن السمو والبراءة والنشوة والتألق وذلك من خلال الألفاظ الألفاظ كقوله (الطفولة ــ الأحلام ــ اللحن الصباح الجديد) فى البعد الثانى الخارجى وذلك من خلال قوله (الورد ، السماء ، المضمون ، الليلة القمراء، ابتسام الوليد) ومن خلال هذين البعدين تأتى الصورتان للمجال الحسى والمعنوى فى عدد وفير من التشبيهات الجديدة البعيدة عن التقليد ، وعدد وفير كذلك من ألفاظ التعجب كقوله (يالها من وداعة وجمال ، يالها من طهارة ، يالها من رقة يكاد يرف الورد) .

هذا بالإضافة إلى ما تضمنته الأبيات من استفهام يؤكد المعانى التى يحاول كشف أبعاده كقوله (أى شئ تراك ، هل أنت فينيس تهادت بين الورى من جديد ، أنت ما أنت)، وبعد أن يستفهم يعود فيقرر وكأنه يقول

لنا بأن استفهامه ليس من جهل بالحقيقة وإنما عن دهشة وتعجب وذهول لروعتها وبهائها فيقول :

أنت روح الربيع تختال فى الدنيا فتهتز رائعات الورود

ويقول:

أنت أنت الحياة فى قدسها السامى وفى سحرها الشجى الفـــــريد

أنت أنت الحياة فى رقة الفجـــر فى رونق الربيـــــــع الوليد

أنت أنت الحيـــــــاة كل أوان فى رواء من الشباب جديـــــد

أنت أنت الحياة فيـك وفى عينيــك آيـــــــات سحرها المدود

أنت دنيا من الأنــاشيد والسحـ ـر والخيـــــــال المـــديد

أنت فوق الخيـــــال والشعـر والفن وفوق النهى وفوق الحدود

أنت قدسى ومعبدى وصبـــاحى وربيعى ونشوتى وخلـــــودى

فالشاعر يرى أن الجمال ليس مجرد مظهر فتان فى الطبيعة والإنسان وإنما الجمال لون من تجرير الذات من الحزن والعراك الخاسر والعذاب والدمار ، فهو يعرض عليها أحزانه وينتظر منها أن تكون سبيل الخلاص له[1].

ومما شك أن نظرة الشابى إلى المرأة ما هى إلا تأييد منه لتصحيح وضعها ومكانتها فى مجتمعه ، ورفع القيود التى كبلتها ، وتغيير النظرة

---

١ - تجارب نقدية وقضايا أدبية ص ١٦٩: ص ١٨١.

القديمة عنها ، وقد حاول الشاعر أن يطوع شعره لتلك النظرة الروحية ، وأن يستجيب لظمئه الروحى إلى مثال رفيع للمرأة يملأ قلبه ومشاعره.

ومن ثم نراه يقول عنها : "المرأة هى الطيف السماوى الذى هبط إلى الأرض ليؤجج نيران الشباب ويعلم البشرية طهارة النفس وجمال الحنان".

ولقد أحب الشابى فى حياته حبا حقيقيا " غمره وساقه فى موكب حافل من العواطف الجامحة والأخيلة الواسعة ، لكن الموت اختطف حبيبته، فبكاها الشاعر ونظم فيها قصائده العاطفية رادا كل شئ فى حياته إلى الحب"[١].

يقول الشاعر عنها[٢]:

مات الحبيب وكل مـــا	قد كنت ترجو أن يكـــون
فاصبر على سخط الزما	ن وما تصرفه الشـــؤون
فسوف ينقذك المنـــــو	ن ويفرح الروح السجين

ويقول عنها فى قصيدة (مأتم الحب) (٣):

فى الدياجى

كم أناجى

مسمع القبر بفصـــ ـــــات نحيبى وشجونى

---

١ - بلابل من الشرق ص ٢٥

٢ - ديوان أبى القاسم ص ١٥٠.

٣ - المصدر السابق ص ٧٧- ٧٨.

ثم أصغى علنـــى أسمع ترديـــــد أنينى

فأرى صوتى فريد

****

فأنادى

يا فؤادى

مات من تهوى وهذا اللحد قد ضـم الحبيب

فابك يا قلب بمـــا فيك من الحزن المذيب

ابك يا قلب وحيد

ذل قلبى

مات الحبيب

فاذرفى يـا مقلة الليل الدرارى عبرات

حول حبى فهو قد ودع آفاق الحيـــاة

بعد أن ذاق اللهيب

****

واندبيه

واغسليه

بدموع الفجر من أكواب زهر الزنبق

وادفنيه بجـلال فى ضفاف الشفق

ليرى روح الحبيب

***

فلاشك أن الشابى قد عانى معاناة شديدة من فقد هذا الحب الذى اختفى فجأة وتركه حزينا يعانى الوحدة والفراق والمرض والألم ، فدفعه ذلك إلى البحث عن حب جديد ينسيه حبه الأول فاهتدى إلى أن يتحدث عن المرأة بصفة عامة ناشدا فيها الصفات الإنسانية الجميلة ، ومتناولا الجانب الإنسانى الرفيع فيها ، ولاشك " أن هذا التمجيد الذى نالته المرأة فى شعر الشابى ليس سوى تأييد منه لتصحيح وضعها فى المجتمع ، والمناداة برفع القيود التى كبلتها على مر السنين"[١].

الفصل الرابع
ثورته على مقومات النص الشعرى

تقوم ثورة الشابى فى هذا الفصل على ما يتعلق بالقصيدة الشعرية من حيث الألفاظ والمعانى والموسيقى والأسلوب، وقبل أن نعرض لموقفه من ذلك نشير إلى ما تحدث به النقاد عن هذه العناصر الفنية بإيجاز حتى يتسنى لنا التعرف على مدى التزامه بما قالوه عنها.

أما اللفظ فيشترط فيه قدامة "أن يكون سمحا ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة"[٢]،

١ - الاتجاه الرومانسى فى شعر أبى القاسم الشابى د/ العربى حسن درويش ص ٧٥.
٢ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر - تحقيق وتعليق د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ص ٧٤.

ويشترط فيه عبدالقاهر الجرجانى : "أن يكون مما يتعارفه الناس فى استعمالهم ويتداولوه فى زمانهم ، فلا يكون اللفظ وحشيا غريبا ، أو عاميا سخيفا ، وأن تكون حروف الكلمة أخف وامتزاجها أحسن ومما يكمد اللسان أبعد"[١].

ويقول قدامة بن جعفر عن المعنى : "أن يكون المعنى مواجها للغرض المقصود ، غير عادل عن الأمر المطلوب[٢]، ويشترط عبدالقاهر فى المعانى : "أن تكون متضمنة حكمة أو أدبا أو أن تكون غريبة نادرة[٣]، ويشير أحد النقاد إلى اختلاف النقاد حول هذين الأمرين ـــ الألفاظ والمعانى ـــ فيقول : "من النقاد من اعتقد بأن السر يكمن فى انتقاء الكلمات وملاءمة بعضها البعض ، ولكنى أميل إلى أن السر يكمن فى الأمرين معا ، فالكلام المنمق دون معان لا تهواه النفوس كما أن المعنى بدون كلام بملائمة لا تهواه النفوس أيضا"[٤].

وأما الموسيقى وهى "لب الشعر وعماده الذى لا تقوم له قائمة بدونه"[٥]، فإنه لا يوجد شعر بدون موسيقى يبدو فيه جوهره وجوه الزاخر بالنغم ، موسيقى تؤثر فى أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية التى تشبه قوى السحر ، قوى تنتشر فى نفوسهم موجات من

---

١ - نظرية العلاقات أو النظم بين عبدالقاهر والنقد الغربى الحديث د/ محمد نايل ص ٢٢، ٢٣.
٢ - نقد الشعر ص ٩١.
٣ - نظرية العلاقات ص ٢٤.
٤ - نظرات فى الأدب والنقد لعبدالرازق البصير ص ٧٥.
٥ - فصول فى الشعر ونقده د/ شوقى ضيف ص ٢٩.

الانفعال يحسون بتناغمهم معها وكأنما تعيد فيهم نسقا كان قد اضطرب واختل نظامه ... موسيقى تشيع فينا حاجات عميقة ... تشعرنا بأننا نعيش فى جو حالم لا عهد لنا به من قبل ، جو يفيض بنغم مندلع تتجاوب أصداؤه فى أعمق الأعماق من نفوسنا آخذا بعضها بتلابيب بعض"[١].

لذا فإن الموسيقى الشعرية تعد "إحدى الوسائل المرهفة التى تملكها اللغة للتعبير عن ظلال المعانى وألوانها ، بالإضافة إلى دلالة الألفاظ والتراكيب"[٢].

وأما الأسلوب فهو " المظهر المادى لإنتاج الأديب والصلة بينه وبين المخاطبين ، أو هو طريقة المتكلم الخاصة فى نقل أفكاره إلى الناس وصوغها فى جمل وعبارات ، روعى فيها تحقيق ما يبتغى فى صياغة الصور والخيالات الجزئية كما روعى فيها تنظيم أجزاء الموضوع وحسن تنسيقها"[٣].

فالأسلوب يعين على الاقناع وييسر على المخاطب تتبع الموضوع، والانقياد للحجة بما يحمله من عناصر الوضوح والتشويق،لذا فانه يشترط فيه الصحه والدقه والوضوح حتى تتحقق فيه الجودة ، ويقصد

---

١ - المرجع السابق ص ٢٨، وينظر كتاب فى النقد الأدبة د/ شوقى ضيف ص ٩٧.

٢ - الأدب وفنونه د/ محمد مندور ص ٢٧.

٣ - فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش ص ٢٣٧.

بالصحة أن يجرى على ما تقتضيه قواعد اللغة والنحو ، ويقصد بالدقة أن تكون الألفاظ على قدر معانيها بالوضوح أن يأتى فى ألفاظ سهلة مألوفة غير مبتذلة ولا سوقية أو غامضة ووحشية [١].

وينبغى فى الأسلوب أن يكون بعيدا عن الركاكة ، وهى ليت الخطأ فى اللغة واستعمال الكلمة ،وإنما هى فى العجز عن التصرف باللغة تصرف من يملك زمامها ،ويعرف أسرارها ،ويقدر على تأليفها تأليفا محكما ،ونظمها نظما متساويا منسجما[٢] .

وأما موقف بعض الشعراء ممن ينادى بالتجديد فى هذه العناصر الفنية ، فقد ذهب ــ خاصة شعراء الرومانسية ــ ينادى بهجر الأساليب العربية القديمة ، ويعلل لذلك بأنها أصبحت لا تلائم العصر الحديث ، هذا الفريق يقول عنه طه حسين بأنه وقف موقف القصد والإنصاف والاعتدال، فهو لا يزدرى الأدب العربى القديم ، بل يقدره حق قدره إلا أنه يرى أن هذا الشعر أو الأدب قد أرضى العرب وقضى لهم حاجاتهم المختلفة فى عصور رقيهم الأدبى والفنى فمثل عواطفهم وأهواءهم وصور حياتهم الفردية والاجتماعية تصورا صادقا ، إلا أنه لا يمثل ــ من وجهة نظره ــ عواطفه وأهواءه[٣].

---

١ ـ المرجع السابق ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، وينظر : الأسلوب لأحمد الشايب ص ١٨٦: ١٩٣ ، والأدب المقارن د/ محمد غنيمى هلال ص ٢٧٣.

٢ ـ مطالعات فى الشعر المملوكى والعثمانى د/ بكرى شيخ أمين ص ٣١٨.

٣ ـ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى د/ شوقى ضيف ص ٥١٥، ٥١٦، وينظر :فى الأدب الجاهلى د/ طه حسين ص ٣١٦، ٣١٧.

فالرومانسيون لهم دور رائد فى تغيير الأسلوب من الرصانة إلى السهولة ، ومن الجزالة إلى الرقة والليونة ، ومن الغرابة والتعقيد إلى العذوبة الصافية ، وقد استطاع شعراء أبولو أن ينزلوا المصطلح اللغوى المبهرج أو الغريب الوحشى إلى مصطلح مهمل شفاف ، ومن هنا يعد شعراء تلك المرحلة من الثائرين[١]، وهم يدعون إلى أن يجدد الشاعر ما شاء فى أسلوبه وطريقته فى التفكير والخيال والعاطفة ، وإلى أن يستلهم ما شاء من كل هذا التراث المعنوى العظيم الذى يشمل كل ما ادخرته الإنسانية من فن وفلسفة ورأى ودين ، لا فرق فى ذلك بين ما كان منه عربيا أو أجنبيا ، فهم يدعون إلى حرية الفن من كل قيد يمنعه الحركة والحياة[٢].

ويشترط الدكتور عز الدين الأمين على من يبغى التجديد فى الشعر ــ سواء فى المعانى والصور والأخيلة والموسيقى ــ المحافظة على سلامة اللغة وعدم الخروج على أصولها ، والمحافظة على موسيقى الشعر العربى ، وعلى الشاعر أن يبحث عن اسم جديد لكلمة الشعر اذا تخلى فيه عن أصوله ، فليس المقصود بالتجديد هو القضاء على أصول

---

١ ـ دراسات نقدية مصطفى عبداللطيف السحرتى ص ٩، ١٠.
٢ ـ مجلة عالم الفكر المجلد الخامس عشر ـ العدد الثانى سنة ١٩٨٤ من مقال بعنوان (عن الخيال الشعرى ، قراءة فى أبى القاسم الشابى) للدكتور/ جابر عصفور ص ٥٣.

فن الشعر وانما المقصود هو الذى يحدث وفق ضرورات الحياه ووفق ما يجد فيها من تجديد فى الثقافة أو اللغة أو الذوق[١].

وتبدأ ثورة الشابى الأدبية بهذه المحاضرة التى ألقاها فى النادى الأدبى عن الخيال الشعرى عند العرب فقد كانت هذه المحاضرة أولى المبادئ التجديدية التى دعا اليها فى جرأه وصراحه كاملتين ، وقد ساعده فى ذلك اتصاله بدعاة التجديد فى الشرق العربى كالدكتور أحمد زكى أبو شادى،الذى نشر شعرا له فى مجلة أبولو وطالبه بالمزيد من شعره ، وشارك الشابى كذلك فـــى تأسيس جمعية الشبان المسلمين بتونس ، وكان أمين سرها ، ومن خلالها بدأ فى نشر دعوته التجديدية الأدبية وغيرها[٢].

ومما ساعده على دعوته إلى التجديد فى الأدب والثورة على ما يكبله من قيود هو ما رآه من تطور وتجديد على يد خليل مطران الذى يعد أول مرحلة من مراحل التطور فى الشعر العربى الحديث حيث وجه ثورته إلى المعانى والتعابير والألفاظ والمزج بين فنون الشعر المختلفة والطبيعة الإنسانية ، أو الربط بين الفن والحياة ، كما ساعد الشابى فى دعوته التجديدية حبه لأفكار المدرسة الرومانسية والرمزية والمهجرية التى تعنى بالجمال الفنى والإبداع اللفظى والتعبيرى[٣].

---

١ - نظرية الفن المتجدد وتطبيقها على الشعر د/ عز الدين الأمين ص ٣١.
٢ - الشـــابى شـــاعر الخضـــراء ص ٢٤، ٢٥ ، وينظـــر مجلـــة عـــالم الفكـــر المجلـــد الخامس عشر العدد الثانى يوليو - أغسطس - سبتمبر سنة ١٩٨٤ ص ٥٢.
٣ - المرجع السابق ص ٤١، ٤٢.

وترجع ثورته الأدبية ــ كذلك ــ إلى تلك الأيام الأولى التى كان يدرس فيها فى الزيتونة ، ففى أول يوم من أيام دراسته ثار على أنظمة تدريس الكتب القديمة ، وفى أول قصيدة فى شعره نلمس منها ثورته على أنظمة الشعر العربى التقليدى المطبوع بكل ما فيها من أداران ، فقد كان يؤمن بالشعر كقضية ومبدأ ورسالة وليس كنظم يراد به أغراض تافهة من مدح وهجاء وغير ذلك[١].

فالشابى يرى أن الأدب العربى لم يعد يشبع حاجات العصر ، كما أنه " لم يعد ملائما لروحنا الحاضرة ولمزاجنا الحالى ، و لأميالنا ورغائبنا فى هذه الحياة ، فقد أصبحنا نرى رأيا فى الأدب لا يمثله ، ونفهم فهما فى الحياة لا نجده عنده ، ونطمح بأبصارنا إلى أفاق أخرى لم تحدثه به أحلامه ولا يقظاته .. فلا ينبغى لنا أن ننظر إلى الأدب العربى كمثل أعلى للأدب الذى ينبغى أن يكون ، ليس لنا إلا احتذاءه ومحاكاته فى أسلوبه وروحه ومعناه ، بل يجب أن نعده كأدب من الآداب القديمة التى نعجب بها ونحترمها ليس غير ... حتى يمكننا أن نتخذ لنا أدبا قويما فيه ما فى الحياة الحاضرة من عمق فى الفكر وسعة فى الخيال ودقة فى الشعور ،أما أن نتخذ الأدب العربى الذى عرفنا خلوه من مثل هاته الأمور مثلنا الأعلى الذى ننسج على منواله فذلك هو الخمول"[٢].

---

١ ـ المرجع السابق ص ٣٠.

٢ ـ مجلة عالم الفكر المجلد التاسع عشر العدد الثالث (أكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر) سنة ١٩٩٨ ص ٩٢.

يقول الشاعر فى أبيات له داعيا فيها إلى التجديد ومسايرة الحاضر[1]:

والذى لا يجاوب الكون بالإحساس عبء على الوجود وجوده

كل شئ يساير الزمن المـــاشى بعزم حتى التــراب ردوده

كل شئ إلاك حى عطـــــوف يؤنس الكون شوقه ونشيده

فلماذا تعش فى الكون يا صـــاحى ومــا فيك من جنى يستفيد

فدعوته للتجديد لم تكن بسبب أحاسيس غامضة وإنما كانت عن رؤية فكرية وإنسانية عميقة ، لذا فقد نأى عن الموضوعات الشعرية القديمة واقتصر على الموضوعات الإنسانية التى يجد فيها مجالا لتأملاته وأفكاره ومشاعره وأحاسيسه.

وتتمثل ثورة الشابى فى الشعر حول موضوعات الشعر وأغراضه وأسلوبه ممثلا فى الألفاظ والعبارات والصورة الشعرية.

أما ثورته فى موضوعات الشعر وأغراضه فتبدو فى عرضه لها فى صورة مغايرة عما كانت عليه قبل ذلك فهو يطلب الموت لا حبا فيه وإنما يطلبه للخلاص من حياته ومتاعبه وآلامه ، وتقول نازك الملائكة عن ذلك: " إن مظاهر عشق الشابى للموت تنتشر عبر شعره"[2]، وهو يقبل على الموت ويتعلق به باعتباره راحة له من حياته ومتاعبها ، ولأنه من

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٣٢.

٢ - قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ص ٤١.

جهة أخرى أحس بكثرة ما بذل فى الحياة من إنفعال وطاقة قربته منه حتى أصبح فى نظره حقيقة لا مفر منها ، فتحول بغضه له إلى حب وترحيب[١] ،يقول عن الموت[٢]:

إلى الموت فالموت روح جميل يرفرف فوق تلك الغيوم

ويقول :

إلى الموت فالموت جام روى لمن أظمأته سموم الفلاة[٣]

ويقول:

إلى الموت بالموت مهد وثير تنام بأحضانه الكائنات(٤)

ويقول :

إلى الموت لا تخشى أعماقه ففيها ضياء السماء الوديع

ويقول :

هو الموت طيف الخلود الجميـ ـل ونصف الحياة الذى لا ينوح

هنالك خلـــف الفضاء البعيد يعيش المنون القوى الصبـــوح

يضم القلوب إلى صـــــدره ليأسو ما ضمها من جـــروح

ويبعث فيها ربيع الحيـــاة ويبهجها بالصياح الفـــروح(٥)

---

١ - الاتجاه الرومانسى فى شعر أبى القاسم الشابى د/ العربي حسن درويش ص ٤٢.

٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٥٥،٥٦.

٣ - الجام : إناء من فضة ' سموم الفلاة : رياح القفر الحارة .

٤ - المهد السرير للصبى ، والأرض الوثير : الثوب الذى تجلل به الثياب فيعلوها وهى مراكب تتخذ من الحرير والديباج .

٥ - الفروح : الفرح .

فالشاعر هنا أخذ يعد نفسه لاستقبال الموت ، فجعل منه حياة ، ونظر إليه على أنه روح جميل ومهد وثير وطيف الخلود الجميل ونصف الحياة الصبوح وربيع الحياة ، وذلك ليخفف عن نفسه مرارة كأسه وهول مفاجآته .

وأما الرثاء فقد خرج به الشامى على طريقة الشعراء فى ذكر مناقب الفقيد ، فاتخذه وسيلة للتفكير فى الموت وشدته ، ويبدو ذلك فى قصائد عدة مثل قصيدة (يا موت) ، (قلب الأم) ، (مأتم الحب) ، (يا شعر) وغير ذلك كثير مما ورد فى شعره وما خرج فيه عن الإطار التقليدى المتمثل فى البكاء على الميت وتعداد مناقبه وآثاره ومحامده ، إلى الحديث عن الموت والتفكير فيه .

وتتمثل ثورته على مضمون الشعر ــ كذلك ــ فى تعرضه للحديث عن الغيب والقدر وما يتعلق بذلك من أمور دينية ، نأى عن الخوض فيها كثير من أصحاب المذاهب الشعرية الأخرى ممن كانوا يلتزمون التزاما شديدا فى الحديث عنها ، وتبدو جرأته فى قصائد عدة فى ديوانه مثل قصيدة (سر الحياة) ، و(القضاء والقدر) ، و(الله سبحانه وتعالى) ، و(فى ظل وادى الموت) ، و(حديث المقبرة)، و(نشيد الأسى)، وغيرها من القصائد التى تأمل فيها وتفكر فى كثير من أسرار الكون من غيبات أحجم غيره من الشعراء عن الحديث عنها.

وتتمثل ثورته فى شعر الحنين إلى الطفولة فى صراعه مع الأيام وندب حظه العاثر حيث يقول[1]:

أواه قد ضاعت على سـعادة القلب الغرير

واليوم أحيا مـرهق الأعصاب مشبوب الشعور

فهو يصور حياته بل حياة مجتمعه الذى تكثر فيه الأباطيل والآثام والشرور والأهواء وانتصار الظلم وذهاب الحق مما جعله يرى نفسه وقد عاش فى جحيم لذا نراه يثور على هذه الحياة ، ويوازن بينها وبين جنته الضائعة التى يسود فيها الحب والخير والجمال ، والتى يتمنى أن يعيش فيها حياته كلها ، فيقول:

أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطيـر

وطهارة الموج الجميل وسحر شاطئه المنير

ووداعة العصفور بين جداول الماء النمير[2]

أيام لم نعرف من الدنيا سوى مرح السرور

ثم يقول :

أيام كنا لب هذا الكون والباقى قشـور

أيام تفرش سبلنا الدنيا بأوراق الزهـور

وتمر أيام الحياة بنا كأسـراب الطيـور

بيضاء لاعبة مغردة مجنحة بنـور

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٧٤،٧٧.

٢ - الماء النمير : الزاكى ، والناجع عذبا كان أو غير عذب .

وترفرف الإفراح فوق رؤوسنا أنى نشير

ولحبه للطفولة فقد خلعها على كل شئ جميل فى حياته ، خلعها على الحبيبة وعلى الغاب ، فيقول فى وصف حبيبته[١]:

عذبة أنت كالطفولة كالأحـــلام كاللحن كالصباح الجديد

كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليـد

فالحبيبة هنا عذبة كالصباح والسماء والورد ، والطفولة والأحلام والألحان والليلة المقمرة وابتسام الوليد ، فقد جمع الشاعر فى وصفه لها بينها وبين مظاهر الطبيعة التى انتزع منها صورة الشعرية.

وتتمثل ثورته فى شعر الطبيعة فى أنه كان يحب الطبيعة حبا شديدا لأنها تخلو من الظلم والذل والشر والبغى والغدر ، ويشيع فيها العدل والرحمة والحنان ومعانى الجمال ، ومن ثم نراه يدعو الإنسان إلى أن يثور ويقتحم العواصف حتى يعيش فى نشوى وسعادة فيقول [٢]:

وافتح فؤادك للوجود وخله لليم للأمواج للديجور

للثلج تنثره الزوابع للأسى للهول للآلام للمقدور

واتركه يقتحم العواصف هائمـا فى أفقها المتلبد المقـــرور[٣]

ويخوض أحشاء الوجود مغامرا فى ليلها المتهيب المحـذور

حتى تعانقه الحيـــاة ويرتوى من ثغرها المتأجج المسجور[٤]

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٦٠.
٢ - ديوان أبى القاسم الشابي ص ٩٠ .
٣ - المقرور : الذى أصابه القرأى البرد .
٤ - المسجور : الموقد والساكن أيضا .

فتعيش فى الدنيا بقلب زاخـــر يقظ المشاعر حالم مسحـــور

فى نشوة صوفية قدســـــية هى خير ما فى العالم المنظور

وتبدو ثورته فى شعر الطبيعة كذلك على لسان الريح حيث يقول [١]:

ودمدمت الريح بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر

إذا ما طمحت إلى غايـــة ركبت المنى ونسيت الحـــذر

فالريح تدعو إلى الثورة وتدفع الإنسان إلى التجد والحياة والكفاح والبناء ، والربيع يثور على الأرض مخاطبا إياها فيقول[٢]:

إليك الفضاء إليك الضيـــاء إليك الثرى الحالم المزدهر

إليك الجمـــال الذى لا يبيد إليك الوجود الرحيب النضر

فميدى كما شئت فوق الحقو ل بحلو الثمار وغض الزهر[٣]

وناجى النسيم وناجى الغيوم وناجى النجوم وناجى القمر

وناجى الحياة وأشواقهـــا وفتنة هذا الوجود الأغـــر

فالربيع ثورة على جدب الأرض وقفرها لتتحول إلى أرض خضرة نضرة ، وما ثورة الربيع إلا ثورة الشاعر على مجتمعه الذى أضحى مقفرا مجدبا خلوا من الحرية والسعادة والجمال والمعانى الإنسانية الجميلة .

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٧٠.

٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٧٢، ٧٣.

٣ - ماد يميد : تحرك واضطرب.

وأما بالنسبة لألفاظ الشابى وعباراته فقد اختار ما يناسب احساسه ومشاعره حتى يستطيع أن ينقل أفكاره ومعانيه إلى القارىء والسامع فيولد لديه إحساسا مشابها لإحساسه وانفعالا يماثل إنفعاله .

ومن ثم نرى أنه قد استخدم من الألفاظ الكلمات الموحية والألفاظ الرقيقة وتحاشى الألفاظ الوعرة والغريبة ، وانبثقت ألفاظه من واقع الحياة التى يعيشها خاصة وأنه كان شاعرا رومانسيا يصف الطبيعة ويخلع عليها آلامه وأحزانه ، فتطلب ذلك منه أن يستخدم ألفاظا جديدة تناسب واقعه وحياته ، وتعطى رنينا موسيقيا جميلا ، ومن هذه الألفاظ التى خرج بها الإطار عن التقليد والتى استنبطها من الطبيعة لفظ (ساحل البحر ، صراخ الصباح ، نوح السما)حيث يقول فى احدى قصائده [1] :

على ساحل البحر أنى يضج صراخ الصباح ونوح السما[2]

ولفظ (خرير الماء ونسمات الغاب) فى قوله [3]:

كالشعاع الجميل أسبغ فى الأفق وأصغى إلى خرير الماء

وقوله [4]:

وخرير الماء له نغم نسمات الغاب ترددده

---

١ - الديوان ص ٩٢.
٢ - الديوان ص ١٧٩.
٣ - الديوان ص ١٧٧.
٤ - الديوان ص ١١٤، ١١٥.

ولفظ (شواطىء القلوب ، العواصف ، سحب الظلام) فى قوله [١]:

بحرقرارته الردى ونشيد لجته المشـــكاة

وعلى شواطه القلوب تئن دامية عـــــراة

بحر تجيش به العواصف فى العشية والغداة

وتظله سحب الظلام فلا سكون ولا إيـــــاه

ولفظ (الموج الجميل ، شاطئه النمير ، وداعة العصفور ، جداول الماء ، الماء النمير) فى قوله[٢] :

وطاهرة الموج الجميل وسحر شاطئه المنير

ووداعة العصفور بين جداول الماء النمير

ولفظ (الليل كئيب ، الليل الرهيب ، ليل بؤس ، ليل الأهوال ، حزن الدهور) فى قوله [٣]:

فسألت الليل والليل كئيـــــب ورهيـــــــــب

وقوله [٤]:

وينبثق الليل طيفا كئيبا رهيبا ويخفق حزن الدهور

ومن الألفاظ التى شاعت فى شعر الشابى لفظ (النور) ومشتقاته ، وقد استخدم هذا اللفظ ليعبر من خلاله عن المعانى وعن تجربته الوحدانية ، ومن نماذج استخدامه لذلك قوله [٥]:

---

١ - الديوان ص ٧٤.
٢ - الديوان ص ٩٩.
٣ - الديوان ص ١٧٥.
٤ - الديوان ص ٨٥.
٥ - الديوان ص ٦٢.

واترك دموع الفجر فى أوراقها حتى ترشفها عروس النور

وقوله [1]:

وشموس وضاءة ونجـــوم تنثر النور فى فضاء مديد

ومن الألفاظ التى استخدمها الشاعر كذلك لفظ (المساء وكان له مدلولات متعددة ،منها دلالته على الأشجان والذكريات فى قوله [2]:

أظل الوجود المساء الحزين وفى كفه معزوف لا يبين

وفى ثغره بسمات الشجون وفى طرفه حسرات السنين

ومن الألفاظ الجديدة التى ترددت كثيرا فى شعر الشابى لفظ (قيثارة الأحلام) حيث يقول فى احدى قصائده [3]:

يلمسن من قيثارة الأ حلام أوتار الغزل

فتفيض ألحان الصبا بة عذبة مثل الأمل

وثمة عبارات شعرية تفيض بالحزن والألم نتيجة معاناته طيلة حياته كقوله (سئمت الحياة ،سئمت الليالى ،حطمت كأسى ،وادى الأسى ،جحيم العذاب ،غمرتها الدموع ،فاض الحباب ،الصمت والإكتئاب) يقول [4]:

سئمت الحياة وما فى الحياة وما إن تجاوزت فجر الشباب

سئمت الليالى ، وأوجاعها وما شعشعت من رحيق بصاب

---

١ - الديوان ص ١٤٧.
٢ - الديوان ص ١٦٨.
٣ - الديوان ص ٢٧، ٢٨.
٤ - الديوان ص ١٧٨.

فحطمت كأسى ، وألقيتهـا بوادى الأسى وجحيم العـذاب

فأنت وقد غمرتها الدمـوع وقرت وقد فاض منها الحباب

وألقى عليها الأسى ثوبـه واقبرها الصمت والاكتئـاب

وكقوله (جراح تشكو إليك الدواهى ، زفرة يصعدها الهم ، مهجة الشقاء تناجيك ، لجة الحزن ، جرعتنى مرارة آه ، كرهتنى الحياة ، تعقبتنى بكل الدواهى) ، يقول [١]:

يا إلـه الوجود ! هذا جرحى فى فؤادى تشكو إليك الدواهى

هذه زفرة يصدعها الهـم إلى مسمع الفضاء السـاهى

هذه مهجة الشقاء تناجيـك فهل أنت سامع يا إلـهى ؟

ويقول [٢]:

أنت أوقفتنى على لجة الحزن وجرعتنى مرارة "آه !

ويقول [٣]:

أنت كرهتنى الحياة وما فيها وحببتنى جمود السـاهى

ويقول [٤]:

أنت عذبتنى بدقـة حسى وتعقبتنى بكـل الدواهى

وثمة عبارات شعرية أخرى تفيض بالأمل والتفاؤل وردت فى قصائد الشابى كقوله (ارقص على الورد ،غنت لك الطير ،غنت لك الرجم ،هذى

---

١ - الديوان ص ١٧٩.
٢ - الديوان ص ١٧٩.
٣ - الديوان ص ١٧٩.
٤ - الديوان ص ١٧٩.

سعادة دنيانا ،اجعل حياتك دوحا مزهرانضرا ،اجعل لياليك أحلاما مغردة

يقول الشاعر [1]:

خذ الحياة كما جاءتك مبتسمـــــا فى كفها ، الغار أو فى كفها العدم

وارقص على الورد والأشواك متئدا غنت لك الطير ،أو غنت لك الرجم

هذى سعادة دنيانا ، فكن رجـــلا . إن شئتها . أبد الأبـادى يبتسم !

واجعل حياتك دوحا مزهرا نضــرا فى عزلة الغاب ينمو ثـــم ينعدم

واجعل لياليك أحلاما مغـــــردة إن الحياة وما تدوى بـــــه حلم

ولا شك أن ألفاظ الشابى تشير إلى أنه كان على إلمام كبير بالمعاجم اللغوية ، وكانت لديه ثروة كبيرة من الألفاظ التى يغفلها الإحساس الصادق، والتى جاءت فى قصائده طيعة وادعة ، رقيقة فى موضع الرقة ، شديدة فى موضع الثورة والإنفعال .

وثمة ظاهرة بدت فى شعره هى تكرار بعض الألفاظ فى قصائده وهذا التكرار لا يقلل من قيمة القصيدة أو ينقص من جودتها وإنما يساعده ويعينه على بث عواطفه وإخراج مشاعره وأحاسيسه والتأكيدعلى ما يريد أن يلفت نظر المجتمع إليه ، فالشعراء يسلكون هذا المذهب للتأكيد والإفهام والإقناع " [2].

---

١ - الديوان ص ١٣٨.

٢ - الإسلام والشعر د/ سامى مكى ص ٢٢٠.

وأما أوزان الشعر وقوافيه (الموسيقى الخارجية) لدى الشابى فإن فيها ثورة وخروجا على الشكل القديم للبحور والأوزان الخليلية حيث قرر أن هذه الأوزان تحتاج إلى نظرة جديدة تتسع للأغراض الفنية لدى الشاعر لأنها أضيق من أن تتسع لمشاعر الشاعر وموضوعاته الجديدة ، لكن ثورته وتجديده فيها لم يخرج بها عن دائرة بحور الشعر العربى ، وإنما حاول أن يتصرف فيها بأن يغير عدد الأوزان فى البيت وأن يقسم القصيدة إلى أشطر واحدة بدلا من شطرين من كل بيت وغير ذلك من ألوان الثورة والتجديد فى شكل أوزان الشعر العربى وقوافيه ، وبعض النقاد لا يرتضى هذا التجديد فيقول : " وأما المجددون فى الوزن وموسيقى الشعر فمنهم من يكتب القصيدة على الطريقة القديمة المعهودة ، ثم يقسم البيت الواحد إلى عشرة أشطر ، يضع فى الأولى كلمة وفى الثانى كلمتين وهكذا حتى يسمى مجددا ويضع نفسه فى زمرة المجددين ، ومن هؤلاء المجددين من لاتحس بأية موسيقى فى شعره "[1].

ومن نماذج ثورته وتجديده فى الوزن العروضى قوله فى قصيدة (الكآبة المجهولة) [2]:

أنا كئيب

أنا غريب

---

١ - مقالات فى النقد الأدبى ، د/ محمد مصطفى هدارة ص ١٣، ١٤، وينظر كتاب : الوافى فى علمى العروض والقوافى د/ إبراهيم جادو ص ١٠٢.

٢ - الديوان ص ٢٦، ٢٧.

كآبتى خالفت نظائـــرها غريبة فى عوالم الحـــزن

كآبتى فكرة مفـــــردة مجهولة من مسامع الزمـن

لكننى قد سمعت رنتهـــا بمهجتى ، فى شبابى الثمـل

سمعتها ، فانصرفت مكتئبا أشدو بحزنى ، كطائر الجبل

سمعتها أنة يرجعهـــا صوت الليالى ، ومهجة الأزل

سمعتها صرخة مضعضعة كجدول فى مضايق السبـل

سمعتها رنة ، يعانقهـــا شوق إلى عالـم يضعضعها

ضعيفة مثل أنـــة صعدت من مهجة هدهـــا توجعها

كآبة الناس شعلـة ومتى مرت ليال خبت مع الأمـــد

أما اكتئابى فلوعـة سكنت روحى وتبقى بها إلى الأبـد

أنا كئيب

أنا غريب[1]

وليس فى عالم الكآبة من يحمل معشار بعض ما أجد

كآبتى مرة ، وإن صرخـت روحى فلا يسمعنها الجسـد

كآبتى ذات قسوة صهـــرت مشاعرى فى جهنم الألـــم

لم يسمع الدهر مثل قسوتها فى يقظة قط ، لا ، ولا حلم

كآبتى شعلـــــة مؤججة تحت رماد الكون تستعـــر

سيعلم الكون مـــا حقيقتها ويطلع الفجر يوم تنفجـــر

كآبة الناس شعلـة ، ومتى مرت ليال خبت من الأمـــد

---

١ - الديوان ص ٧٧، ٧٨.

أما اكتئـابى فلوعة ، سكنت روحى ، وتبقى بها إلى الأبـد

فقد جعل هذه القصيدة البيت الأول والثانى تفعيلة واحدة ، ثم ذكر بعدهما عشرة أبيات متفقة الوزن متناسقة القافية كـل بيتين بقافية معينة ، وقد جاءت على وزن جديد وهو (متفاعلن فاعلن متفاعلن)

وثمة نموذج آخر لتجديده بدا فى قصيدته (مأتم الحب) ، يقول فيها[1]:

ليت شعرى !

أى طير

يسمع الأحزان تبكى بين أعمـاق القلوب

ثم لا يهتف فى الفجر برنـات النحيب

بخشوع واكتئاب

لست أدرى

أى أمر

أخرس العصفور عنى ، أترى مـات الشعور

فى جميع الكون ، حتى فى حشاشات الطيور ؟

أم أبكى خلف السحاب ؟

فى الدياجى

كم أناجى

---

١ - الديوان ص ٧٧، ٧٨.

مسمع القبر بغصـــ ـات نحيبى ، وشجونى

ثـــم أصغى ، علنى أسمع ترديـــد أنينى

فأرى صوتى فريدا !!

فأنادى

"يا فؤادى"

مات من تهوى ! وهذا اللحد قد ضـم الحبيب"

"فابك يا قلب بمـــا فيك من الحزن المذيب"

إبك يا قلب ، وحيدا !"

ذل قلبى ،

مات حبى !

فاذرفى يا مقلـــة الليل ، الدرارى عبرات

حول حبى ، فهو قـ ـد ودع آفاق الحيـــاة

بعد أن ذاق اللهيب

واندبيه ،

واغسليه ،

بدموع الفجر ، من أكواب زهـــر الزنبق

وادفنيه بجـــلال ، فى ضفـــاف الشفق

ليرى روح الحبيب

فهذه القصيدة من بحر الرمل ، جعلها فى مقاطع متعدد ، وكل مقطع يتحد فى البيت الأول والثانى فى روى واحد ، ويتحد الثالث والرابع فى

روى مختلف عن سابقه ، ويأتى البيت الخامس بروى آخر مخالف ، وهذا البيت الخامس يتكرر روية مع روى البيت البيت الخامس فى المقطع الثانى ، ويتفق البيت الخامس فى المقطع الثالث مع مثيله فى المقطع الرابع ويتفق البيت الخامس من المقطع الخامس مع مثيله فى المقطع السادس فى حرف الروى ، هذا بالإضافة إلى أن البيت الأول والثانى تفعيلة واحدة هى (فاعلاتن)، والبيت الثالث والرابع أربع تفعيلات والخامس تفعيلتان .

ومن القصائد التى جدد فيها عدد تفاعيل بحرها قصيدة (الصباح الجديد) التى يقول فيها [1]:

اسكني يا جـراح	واسكتي يا شجون
مات عهد النـواح	وزمان الجنـــون
وأطل الصبـــاح	من وراء القــرون
في فجاج الــردى	قد دفنت الألـــم
ونثرت الدمـــوع	لريـــــاح العدم
واتخذت الحيـــاة	معزفـــــا للنغم
أتغنى عليـــــه	في رحـاب الزمان
وأذبت الأســـى	في جمال الوجـود
ودحوت الفـــؤاد	واحـــــة للنشيد

١ -

والضيا والظـــلال والشـذى والورود

والهوى والشبـاب والمنى والحنـــان

اسكني يا جـــراح واسكتي يا شجـون

مات عهد النـواح وزمـــان الجنـون

وأطل الصبـــاح من وراء القـــرون

في فؤادي الرحيب معبد للجمـــــال

شيدته الحيـــاه بالرؤى والخيـــال

فتلوت الصـــلاة في خشوع الظلال ..

وحرقت البخـــور وأضأت الشموع ...

إن سحر الحيـــاة خالد لا يـــزول

فعلام الشـــكاه من ظـــلام يحول

ثم يأتي الصبـــاح وتمر الفصـــول؟

سوف يأتي ربيـع إن تقضى ربيـــع

اسكني يا جـــراح واسكتي يا شجـون

مـــات عهد النواح وزمـــان الجنون

وأطل الصبـــاح من وراء القـــرون

من وراء الظـــلام وهدير الميـــــاه

قد دعاني الصبـــاح وربيع الحيـــــاة

يا له من دعـــاء هز قلبي صـــداه !

لم يعد لي بقـــاء فوق هذي البقـــاع

الوداع! الــوداع ! يا جبال الهمـــوم

يا ضبــاب الأسى! يا فجاج الجحيــم !

قد جرى زورقــي في الخضم العظيـم ..

ونشرت القــلاع ..فالوداع! الـوداع!

فهذه القصيدة جاءت على وزن (فاعلن فاعلان فاعلن فاعلان)وهى أوزان بحر المتدارك ، وجعل الشاعر البيت يتألف من أربع تفعيلات كل تفعيلتين فى شطر ، وجعل العروض والضرب أقل بيت مذالا ، وهذا شكل جديد على وزن المتدارك حيث إن هذا الوزن يشتمل على ثمانى تفعيلات كل أربع تفعيلات فى شطرة واحدة هذا بالإضافة إلى أنه جدد فى روى هذه القصيدة حيث جعل الأبيات الثلاثة الأولى من كل مقطع تتفق مع بعضها فى حرف الروى ، وكرر هذا المقطع الأول بعد مقطعين آخرين مختلفين معه فى حرف الروى ، وهكذا فى بقية أبيات ومقاطع القصيدة .

ويقول أحد النقاد عن هذه القصيدة :"إن هذه القصيدة ، وقصائد أخرى فى سياقها تختلف عن بقية شعره بناء ولهجة وتصورا لعملية قول الشعر ذاتها ، فهى أبعد ما تكون عن الصخب والتقريرية والخطبية المباشرة ، وفيها انتهاج أساليب الشعر الحق من اعتماد الأصوات والإيقاعات ، والتنسيق بينها فى هدوء لتكون عنصرا مهما فى توليد

المعنى ، واعتماد الصورة الموحية التى تفتح النص على معان مختلفة ، وتفتحه للقراءات والتأويل " [١].

والشابى كغيره من شعراء التجديد الذين ثاروا على موسيقى النص الشعرى وأحسوا " أن وحدة القافية تقيد نغم القصيدة وأن تنويعها ينوعه ويزيده عذوبة وحسن وقع ، فتمردوا على التقليد القديم ، وكسروا عمود القافية الرتيبة [٢].

ومن نماذج ثورته وتحرره من النظام القديم الذى يوجب على الشاعر التزام روى واحد فى قصيدته كلها قوله فى قصيدة شكوى اليتيم[٣].

على ساحل البحر أنى يضج ... صراخ الصباح ونوح المسا
تنهدتُ من مهجةٍ أترعت ... بدمع الشقاء وشوك الأسى
فضاع التنهد في الضجة ... بما في ثناياه من لوعةِ
فسرت وناديت يا أم هيا ... إلي فقد سئمتني الحياة
وجئت إلى الغاب أسكب أوجاع ... قلبي نحيباً كلفح اللهيب
نحيبا تدافع فى مهجتى ... وسال يرف يندب القلوب
فلم يفهم الغاب أشجانه ... وظل يردد ألحانه

١ - مجلة فصول - المجلد السادس - العدد الثانى - يناير - فبراير - مارس سنة ١٩٨٦ م من مقال (الأشواق التائهة - مدخل إلى شاعرية الشابى) أ/ حمادى صمود ص ١٧٧.
٢ - رحلة الأدب العربى إلى أوربا ، محمد مفيد الشوباشى ص ١٤٩.
٣ - الديوان ص ٩٢، ٩٣.

فسرت وناديت يا أم هيـــاء إلي فقد عذبتني الحيـــاة

وعانقت في وحدتي لـــوعتي وقلت لنفسي ألا فـاسكتـــي

وهكذا فى بقية هذه القصيدة التى بدأها ببيتين متحدين فى حرف الروى على نظام القصيدة القديمة ، ثم ثنى بعد ذلك بأربعة أشطر ، ثم يأتى بعد ذلك ببيتين أخرين يتألفان من شطرين كاملين ، ثم يورد بعدها أربعة أشطر ، وهكذا حتى ختام قصيدته ، على أن تتكرر الشطرة الثالثة والرابعة فى الأبيات التى أوردها فى قصيدته مشطورة .

وقد اهتم الشاعر فى قصائده بالموسيقى الداخلية ، حيث أتى فيها بالألفاظ المناسبة للمعانى التى يتحدث عنها كى تحدث وقعا موسيقيا داخليا جميلا ، ففى حال الحزن والأسى يذكر من الألفاظ ما يشعر القارىء بجو الحزن والكآبة التى استولت على مشاعره وأحاسيسه ، وفى حال الفرح والسرور ما يومىء إلى سعادته وانشراحه.

فالشاعر اهتم اهتماما كبير بالموسيقى الشعرية ـــ الداخلية والخارجية ـــ فى ديوانه، فكانت أوزانه تتلائم مع الإيقاعات الموسيقية التى توحى بأن يقدم معانيه عن طريقها ، وهى أوزان شعرية إنسيابية تتفاعل مع مشاعر الفرد والإنسان ، فتطربه حينا وتثيره وتلهب مشاعره وأحاسيسه حينا آخر ، لذلك نجده يكثر من استعمال أوزان شعرية محددة

تخدم أغراضه وتتلائم مع طبيعة شعره وتعبر عن موضوعاته ، ويقل من استعمال أوزان أخرى لا تتلائم ولا تتسع لمعانيه وأفكاره [١].

---

١ ـ مقدمة ديوان أبى القاسم الشابى ص ٩.

وهذا جدول إحصائى بعدد البحور الشعرية التى استخدمها وعدد القصائد التى نظمها عليها ، والبحور التى لم ينظم عليها

البحر	عدد القصائد التى نظم عليها	البحور التى لم ينظم عليها
الكامل	١٤	الوافر
مجزوء الكامل	٩	الهزج
الخفيف	٢٨	المضارع
مجزوء الخفيف	٢	
رمل	١٠	الرجز
مجزوء رمل	٨	المديد
منسرح	٢	المقتضب
متقارب	١١	
طويل	٧	
بسيط	١٠	
مخلع بسيط	١	
مجتث	٣	
متدارك	١	

.

وهذا جدول إحصائى آخر يوضح حروف الروى التى استخدمها وعدد القصائد فى كل حرف ، والحروف التى لم يتخذها رويا .

حروف الروى	عدد القصائد التى جاءت عليها	الحروف التى لم يستخدمها رويا
الهمزة	٢	ج
الباء	١٤	خ
التاء	٥	ذ
الثاء	١	ز
الحاء	٢	ر
الدال	١٤	ش
الراء	١٢	ص
السين	٦	ض
العين	٢	ط
الفاء	١	ظ
القاف	٢	غ
الكاف	٢	و
اللام	٦	ي
الميم	١٧	
النون	٨	
الهاء	١٥	

ومن خلال هذا الإحصاء نرى أن الشابى لم يعتمد فى بعض قصائده على روى واحد وإنما اعتمد على أكثر من روى ،كالذى نجده فى قصائد من (من أغانى الرعاة) و(أراك)و(أبناء الشيطان)و(الزنبقة الزاوية) وغير ذلك كما أنه نأى عن استخدام بعض الحروف رويا لأنها لا تعينه على بث مشاعره وأحاسيسه ، ولا تساعده فى عرض معانيه وأفكاره .

وأما الصورة وهى منهج لبيان حقائق الأشياء فيهتم بها الشاعر لأنها تربط بين الأشياء فتثار من خلالها العواطف وتتحرك المشاعر والأحاسيس لدلالتها على كل ماله صلة بالتعبير الحسى [1]، وذلك بأن يوظفها لخدمة عمله الشعرى ، ويكسبها أبعادا موضوعية جديدة ويأتى بها بألفاظ تتناسب وحالته وواقعه ، فهل لا يثور ولا يهملها الصورة الشعرية القديمة وإنما يأتى بها فى ثوب جديد يوائم نزعته وتجربته الرومانسية ،ويمزج بينها وبين عناصر الطبيعة من ألوان وألحان وأنوار وأزهار ورياض وضياء وغير ذلك .

وتبدو ثمة مشكلة لدى الرومانسيين تكمن فى أساليب البيان نفسها ،فى أن المعنى يكسى تشبيها أو استعارة ، وبذلك يكون التشبيه أو الإستعارة فضولا ، وتكمن وظيفتها فى التوضيح والتحسين والمبالغة ،

---

١ ـ الصورة الأدبية د/ مصطفى ناصف ص ٣: ٨ ، وينظر المجلة العربية العدد (٨١) السنة الثامنة سنة ١٩٨٤ م مقال للدكتور أحمد بسام ساعى بعنوان (الصورة فى مفهوم النقد الحديث) ص ٥٦، ٥٧.

وهذه النواحى البلاغية من وجهة نظرهم أغراض خطابية لا علاقة لها بالتعبير ، فرأوا أن الأمر إما أن يكون بمد أبعاد الصورة وإضافة بعد جديد إليها وهو التشخيص ، وإما أن يكون بتطهير الشعر من هذه الصور الفضولية ، وهذا الأمر الثانى يتطلب من الشاعر جرأة وصرامة ،وقد انفرد بهما أبو القاسم الشابى مما تعرض بسبب ذلك إلى النقد ، فهو فى الكثير من شعره يبرى الصورة بريا ، أو يستغنى عنها جملة ، معتمدا على تكديس الأسماء والصفات [1]، يقول فى قصيدة (تحت الغصون) [2]:

هَهُنا في خمائل الغابِ، تَحْت الـزَّا ... ن والسِّنديانِ، والزَيْتـــونِ [3]
أنتِ أشْهى منَ الحيـــاةِ وأبْهى ... من جمالِ الطَّبيعةِ الميمـــونِ
ما أرقَّ الشّبابَ، في جسمكِ الغضِّ ... وفي جيدكِ البَديـــعِ، الثَّمينِ!
وأدقّ الجمالَ في طرفِك السَّاهي، ... وفي ثَغرِكِ الجميلِ، الحـــزينِ!
وألذَّ الحيـــاةَ حينَ تغنّيـ ... ـن فَأُصْغِي لصـــوتِكِ المحزُونِ
وأرى رُوحَكِ الجميلةَ عِطْـراً ... ضايعاً في حـــلاوة التَّلحينِ[4]!
قَدْ تَغَنَّيْتِ منذُ حينِ بصـــوتٍ ... ناعمٍ، حالـــمٍ، شجيٍّ حنونِ
نَغَماً كالحَياةِ عذباً عميقـــاً ... في حنـــانٍ، ورقـــةٍ وحنينِ
فإذا الكـــون قطعةٌ من نشيد ... علويٍّ، منغّـــمٍ مـــوزونِ

---

١ - مجلة عالم الفكر - المجلد التاسع عشر - العدد الثالث سنة ١٩٨٨ ص ٧٣.
٢ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ١٥٢.
٣ - الخمائل : جمع الخميلة : الشجرا لكثير الملتف ، الزان ، والسنديان والزيتون ضروب من الشجر .
٤ - ضايع : منتشر.

فَلِمَنْ كنتِ تُنشدين؟ فقالـــتْ: «للضياءِ البَنفسجيِّ الحـــزينِ»

«للضّباب المـــورّد، المتلاشي كخيالات حالـــمٍ، مفتـــــونِ

«للمـــاءِ المطلِّ للشَّنق السّـــا جى لسحْر الأسى ، وسحْر السكونِ

فهذه الأبيات تشتمل على بعض التشبيهات والاستعارات القليلة ، ويكثر فيها عدد وفير من الأسماء والصفات التى كررها الشاعر وقارب بين معانيها ، مثل قوله (ناعم حالم شجى حنون) و(فى حنان ورقة وحنين)و(كخيالات حالم مفتون)و(لسحر الأسى وسحر السكون)، فأبياته تدور حول تشبيهين قريبين هما :تشبيه روح الحبيبة بالعطر وتشبيه غنائها بالحياة .

وقد جمع الشابى فى صورة بين الصورة التراثية التى استقاها من الموروث الأدبى القديم ، والصورة الجديدة التى تنبع من واقعه وطبيعته ومن نماذجه التى نبعت من التراث الأدبى القديم قوله [1]:

"قد أضاعَ الرشّادُ في ملعب الجِنّ فيا بؤسهُ، أصيب بمـــــسّ

طالما خاطبَ العواطفَ في الليـلِ تاجى الأمـــوات فى غير رمس

طالما رافقَ الظلامَ إلى الغـــابِ ونادى الأرواحَ مِن كـــلِّ جِنْس»

طالما حدَّثَ الشياطينَ في الـوادي، وغنّى مع الرِّياح بجَـــــرسِ»

إنه ساحرٌ، تعلّمُـــــه السحرَ الشياطينُ، كلَّ مطلـــع شمسْ

فابعِدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكلِ إنّ الخَبيثَ منبعُ رِجْـــسِ»[2]

---

١ - الديوان ص ٩٥.

٢ - الرجس: القذر، والمأثم ، وما استقذر من العمل.

«أطردوه، ولا تُصيخوا إليـــــه فهو روحٌ شريِّرةٌ ، ذات نحْـسِ[1]

فالموروث القديم الذى استخدمه الشابى فى أبياته يتمثل فى قوله (ملعب الجن، أصيب بمس ، الأرواح ، الشياطين،روح شريرة ، ذات نحس)ومثل هذه العبارات وردت فى الشعر العربى القديم بكثرة لأنهم كانوا يعتقدون فى مضمونها ، وتبدو الصورة البيانية فيها فى قوله (خاطب العواطف ، وراقبه الظـــــــــلام ، نادى الأرواح، حدث الشياطين)استعارات مكنية ومجازات عقلية أعانت الشاعر على طرح أفكاره ومعانيه .

ومن النماذج التى تأثر فيها الشابى بالموروث الشعرى القديم قوله

قد سكرنا بحبنـــــا واكتفَيْنـــــا يا مديرَ الكؤوس فاصرفْ كؤوسَكْ[2]
واسكبِ الخمرَ للعَصَافيرِ والنَّحْـــلِ وَخَلِّ الثَّرى يَضُمُّ عروسَـــكْ[3]
مالنا والكؤوس، نطلبُ منهـــــا نشوةً والغَرامُ سِحْرٌ وسُكْـــرُ!
خَلِّنا منكَ، فَالرّبيعُ لنا ســـــاقٍ وهذا الفضاءُ كاسٌ وخمـــرُ!
نحن نحيا كالطّيرِ، في الأفُقِ السَّاجي وكالنَّحْلِ، فوق غصن الزُّهُورِ[4]
لا ترى غيرَ فتنةِ العالـــم الحيِّ وأحلامِ قلبها المسحـــورِ...
نحن نلهو تحتَ الظلالِ، كطفليـــنِ سعيدين، في غُرورِ الطُّفولةْ
وعلى الصخرةِ الجميلـــةِ فـــي الوادي وبين المخاوفِ المجْهولَهْ

---

١ - أصاخ : أصغى.
٢ - الديوان ص ١١٠.
٣ - المدير : يعنى الساقى يقدم الخمرة.
٤ - الثرى : التراب الندى.

نحن نغدو بين المـــروج ونُمـسى ونغنِّي مـــع النسيم المغنِّي

ونناجي روحَ الطبيعةِ في الكــون ونُصغي لِقَلْبهـــــا المتغنِّي

فتأثر الشاعر فى قصيدته هذه بالموروث القديم من رباعيات الخيام الذى حاول استكناه الكون ومعرفة أسرار الوجود بعقله وفلسفته وتأمله فعجز عن ذلك فذهب بعد أن أحس بالألم ينشد المتعة فى الخمر والمرأة هروبا بها عن واقعه ، فقال (واسكب الخمر ، والغرام سحر وسكر ، والفضاء كأس وخمر).

ومن الصور الشعرية التى جدد فيها الشابى ، حيث استنبطها من الطبيعة قوله [1]:

وشمسٌ توشِّي رداءَ الغمامِ؟ وبدرٌ يضيءُ، وغَيمٌ يجـــــودْ؟

وضوءٌ، يُرَصِّع موجَ الغديرِ؟ وسِحْرٌ، يطرِّزُ تلكَ البُـــرودْ؟[2]

وبحر فسيح بعيد القـــرار يضج ويدوى دوى الرعـــــود

وريحٌ، تمرُّ مرورَ المَـلاكِ، وتخطو إلى الغاب خَطْـوَ الوليدْ؟

وعاصفةٌ من بناتِ الجحيم، كأنَّ صداها زئير الأســـــودْ

تَعجُّ، فَتَدْوِي حنايا الجبـــال وتمشي، فتهوي صُخورُ النُّجودْ؟[3]

وطيرٌ، تغنِّي خِلالَ الغُصونِ، وتهتفُ للفجر بين الـــــورود؟

وزهرٌ، ينمِّقُ تلك التـــلال وَيَنْهَل من كلِّ ضَوءٍ جَدِيـــــدْ؟

---

١ - الساجى : الساكن .

٢ - الديوان ص ٥١.

٣ - البرود : جمع البرد : ثوب مخطط.

ويعبَقُ منه أريجُ الغَــرامِ ونفحُ الشباب، الحَييّ، السعيــد؟

فقد أورد الشابى فى هذه الأبيات التشبيهات والاستعارات والمجازات مستوحاة من الموروث القديم ولكن بصياغة جديدة ، حيث استقاها من عناصر الطبيعة الجميلة التــى تتمثل فى (الشمس ، الغمام ، البدر ، الغيم ، الضوء ، موج الغدير ، سحر ، بحر ، ريح الغاب ، الرعود، وعاصفة ، زئير الأسود ، الخيال ، صخور النجود ، والطير ، الغصون ، الفجر ، الورود ، والزهر ، التلال ، أريج) وقد تضافرت هذه العناصر كلها فى التعبير عما يختلج بنفسه ، وما يمور فى ذهنه وعقله من رؤى وأفكار.

وأما بالنسبة للتراث اليونانى وأساطيره فإن الشاعر قد ذكر إلهين من آلهة اليونان فى عنوانين ، أحدهما هامشى والثانى إضافى ، العنوان الأول (إلى عذارى أفروديت) وتحته قصيدتان متحدتان فى الوزن والقافية والروح مختلفتان فى المنحى والجو النفسى اختلافا بعيدا، القصيدة الأولى هى (الجمال المنشود) والثانية (طريق الهاوية) والأولى حالمة والثانية معتكرة يتصارع فيها النور والظلام.

يقول فى مطلع القصيدة الأولى[1]:

يا عذارى الجمال الحب والأحلام بل يا بهاء هذا الوجــود

قد رأينـــــا الشعور منسدلات كللت حسنها صباح الورود

---

١ - النجود : جمع النجد : ما أشرف من الأرض.

ويقول فى مطلع القصيدة الثانية[١]:

يا عذارى الجمال والحـــــــب والأحلام بل يا بهاء هذا الوجود

خلق البلبل الجميل ليشـــــــدو وخلقتن للغـــــــرام السعيد

ولم يكن ذكر الشابى لآلهة الإغريق واليونان على سبيل التكثير ولكنه تعود أن يذيب قراءاته فى شعوره ووجدانه ، وكان هذا مصدر قوته رغم أنه لم يعرف لغة أجنبية ، بل كان اعتماده على المترجمات أو على ما يكتبه جبران وغيره ممن نهلوا من معين الآداب الأوربية [٢]، ومن الصور الكلية التى تشتمل على الألوان والأصوات والحركات قوله[٣]:

إنَّ الحَيَاةَ وقـــد قضيْتَ قُبَيْلَ معرفَةِ الحَيَـــاةْ

بحرٌ قَرارَتُهُ الـرَّدى ونشيدُ لجته شَكَاةْ[٤]

وعلى شواطئهِ القُلـوبُ تئنُّ داميةً عُـــراةْ

بحرٌ تجيشُ بع العَواصفُ في العَشِيَّةِ والغَـداةْ

وتُظِلُّهُ سُحُبُ الظَّـلامِ فلا سكونَ ولا إياةْ[٥]

نَسِيَتْكَ أَمواجُ البُحَيْـرَةِ والنُّجُومُ اللَّامعـــة

والبُلبلُ الشَّادي وهاتيكَ المروجُ الشَّاسِعـــهْ

---

١ - ديوان أبى القاسم الشابى ص ٦٦.

٢ - ديوان أبى القاسم ص ٦٥.

٣ - مجلـة عـالم الفكـر المجلـد التاسـع عشـر العـدد الثالـث سـنة ١٩٨٨ ص ٦٠، ٦١.

٤ - الديوان ص ١١٤.

٥ - الردى : الهلاك ، اللجة : معظم الماء ، الشكاة : المرض.

وَجَداولُ الوادي النَّضيرِ برَقْصِها وَخَريرها[1]

ومسالكُ الجبلِ الصَّغيـر بعُشْبِها وزُهورهـا

فعناصر الصورة تتمثل فى اللون (سحب الظلام ، النجوم اللامعة ، والمروج الشاسعة ، والوادى النضير) والصوت (نشيد تئن ، العواصف ، البلبل الشادى) والحركة (أمواج البحيرة ، جداول فى رقصها ، وحركة البحر) ، وما ذكرناه قليل من كثير مما ورد فى شعر الشاعر من لوحات فنية جميلة وصور شعرية مضيئة ، انتزعها من مشاهد الطبيعة ومظاهرها الخلابة ، وغلفها بشعوره المرهف وإحساسه الرقيق ، وزانها بما تشمله من تشبيهات واستعارات ومجازات وأصوات وألوان وحركات وعرضها فى ثوب لفظى جديد ، وصاغها فى أسلوب أدبى جميل.

وقد اعتمد الشابى فى صوره على تلك الألفاظ الرومانسية ، والعبارات والتراكيب الجديدة والتشبيهات والمجازات ذات الطبيعة الوجدانية والخيالية ، فألفاظه كانت محملة بالدلالات الشعورية والرمزية وعباراته وتشبيهاته كانت تدور حول مظاهر الطبيعة البديعة.

ومن ثم نستطيع القول بأن الشاعر قد امتاز بخياله الواسع الذى ساعده على تكوين صوره وتشكيلها ، وبثها فى ألوان بلاغية فى نسق جميل وتتابع بديع.

---

١ - إياة : إقامة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين وبعد ؛

فلقد انتهيت من كتابة هذا العمل الذى يدور حول مظاهر الثورة فى شعر أبى القاسم الشابى ، ويمكن أن نوجز النتائج التى توصلنا إليها فيما يلى :

أولا : إذا كان الشابى شاعرا موهوبا يملك إحساسا ينبض بالحياة ولا ينأى عن الواقع بالرغم من آلامه النفسية والمرضية .

ثانيا جعل الشابى الشعر وسيلة رفيعة للتعبير عن التجارب الانسانية السامية وليس وسيلة للمدح والهجاء والموضوعات الشعرية القديمة .

ثالثا : تنوعت ثقافة الشابى مابين عربية وغير عربية ، ساعدت فى نبوغه الفكرى ونضوجه الشعري ، إذ لم يقتصر على الثقافة العربية الأصيلة فى القديم والحديث وإنما نال قسطا كبيرا من الثقافة الغربية عن طريق الترجمة .

رابعا : تأثر الشابى بالمذهب الرومانسى تأثرا كبيرا وقد بدا ذلك فى صياغته الشعرية وألفاظه وأساليبه وموسيقاه وعاطفته ، حيث استخدم من هذه الخصائص الفنية ما يتناسب والمبادىء الرومانسية ، كما بدا مذهبه الشعرى فى الانعتاق من قيود التقليد والتحليق فى آفاق شعرية جديدة .

خامسا : تأثر الشابى بشعراء المهجر تأثرا كبيرا فى مفهوم الشعر وموقفه من الحب والعاطفة الإنسانية ومفهوم حب الوطن ، والحديث عن الألم والكآبة والتشاؤم ، والتجاوب مع الطبيعة ومظاهرها المختلفة .

سادسا : تعد الثورة الوطنية فى شعره من أهم الثورات التى خاضها فـــى حياته وذلك لما كان يعانى منه مجتمعه من وطأة الاستعمار الفرنسى ، مما جعله يثور ثورة عارمة عليه وعلى الظلم والرجعية والخمود والاستكانة فى بنى وطنه ،

واستخدم الألفاظ والعبارات المناسبة لذلك ، ونوع فيها ما بين الخبرية والإنشائية ، وكانت عاطفته فى هذا الاتجاه حارة قوية ومشاعره وأحاسيسه صادقة ، وبدت فيه كبيرة بعض العبارات الرومانسية.

سابعا: قام الشابى بجهد جهيد وثورة كبيرة على المظاهر الاجتماعية السيئة فى مجتمعه ، والتى تتمثل فى الفقر والجهل والمرض والخمول والاستكانة للقوى الاستعمارية الغاشمة فكافح لبناء مجتمع حر خال من أوصابه وأمراضه الاجتماعية.

ثامنا : لقى الشابى عداء شديدا وكراهية بالغة من بعض الناس ورغبتهم فى عزله والتشكيك فى شاعريته بسبب أرائه وأفكاره ودوره القيادى فى مجتمعه مما أصابه بالاكتئاب وأشعره بالغربة فى وطنه.

تاسعا: ثار الشابى على مكانة ووضع المرأة فى مجتمعه ومكانتها فى الأدب العربى ، وكانت ثورته ناشئة عن تأثره بنظرة الشعراء الرومانسيين لها والشعراء السابقين له فى مجتمعه ممن ناصروا المرأة ورفعوا القيود عنها وغيروا النظرة القديمة لها.

عاشرا: وجه الشاعر ثورته الأدبية إلى موضوعات الشعر وأغراضه وأسلوبه ممثلا فى الألفاظ والعبارات والصور الشعرية والموسيقى ، فحاول الخروج بالأدب العربى من نطاقه الضيق المحدود وتحريره من القيود التى تكبله والتكلف والافتعال الذى يغفله فثار وجدد فى لغة الشعر وموسيقاه وصوره وموضوعاته واستخدم الألفاظ والعبارات التى تشير إلى ذلك.

وبعد أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت فى عرض صورة لحياة الشابى ومذهبه ومظاهر ثورته فى شعره فإن كان هناك توفيق فبفضل الله وعونه وإن لم يكن فحسبى أنى قد اجتهدت قدرا لجهد والطاقة ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله أولا وأخرا.

المصادر والمراجع

١ــ أبو القاسم الشابى ــ شاعر الحب والثورة أ/ رجاء النقاش ط أولى سنة ١٩٧١م دار العلم ــ بيروت.

٢ــ الاتجاه الرومانسى فى شعر أبى القاسم الشابى د/ العربى حسن درويش ــ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩١م.

٣ــ الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر د/ عبدالقادر القط ــ مكتبة الشباب سنة ١٩٨٨م.

٤ــ الأدب العربى المعاصر فى مصر د/ شوقى ضيف ط السابعة ــ دار المعارف سنة ١٩٧٩م.

٥ــ الأدب المقارن د/ محمد غنيمى هلال ــ دار نهضة مصر للطبع والنشر ــ الفجالة ــ القاهرة سنة ١٩٧٧م.

٦ــ الأدب وفنونه د/ محمد مندور ط دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة.

٧ــ الأسلوب ، أحمد الشايب ــ ط الثانية مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

٨ــ (أغانى الحياة) ديوان أبى القاسم الشابى ــ منشورات دار الكتب الشرقية ــ تونس ط أولى سنة ١٩٥٥ م ط دار مصر للطباعة بالفجالة.

٩- الشابى .شاعر الخضراء أ/ حمدى محمد عبدالوهاب ط الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥م .

١٠ــ بلابل من الشرق ــ صالح جودت ــ ط الثانية ــ دار المعارف سنة ١٩٨٤م.

١١ــ دراسات فى الشعر العربى ــ د/ محمد مصطفى هدارة ــ دارة المعرفة الجامعية سنة ١٩٨٢م.

١٢ــ دراسات فى الشعر العربى المعاصر د/ شوقى ضيف ط السادسة والسابعة ــ دار المعارف بمصر.

١٣ــ دراسات فى القصة والمسرح ، محمود تيمور ــ ط المطبعة النموذجية ــ الناشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بالقاهرة.
١٤ــ دراسات نقدية ، مصطفى عبداللطيف السحرتى ــ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣م.
١٥- ديوان أبى القاسم الشابى – قدم له وشرحه أ/ أحمد حسن بسبح – دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى سنة ١٩٩٥م.
١٦- رحلة الأدب العربى إلى أوربا –محمد مفيد الشوباشى- دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م .
١٧- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور د/ شوقى ضيف – ط دار المعارف بمصر.
١٨- شعراء الوطنية فى مصر – مصطفى صادق الرافعى – ط الثانية الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٦م.
١٩- الصورة الأدبية د/ مصطفى ناصف –دار الأندلي للطباعة والنشر بيروت لبنان ط الثالثة سنة ١٩٨٣م .
٢٠- الغرباء – فتحى سعيد – ط الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٦م.
٢١- فصول فى الشعر ونقده د/ شوقى ضيف – ط الثانية دار المعارف القاهرة.
٢٢- الفن ومذاهبه فى الشعر العربى د/ شوقى ضيف – ط السابعة دار المعارف بالقاهرة.
٢٣- فى الأدب الجاهلى د/ طه حسين – ط الثانية عشرة دار المعارف .
٢٤-فى الأدب والنقد د/ محمد مندور – ط دار نهضة مصر للطبع والنشر –الفجالة – القاهرة سنة ١٩٧٨م .
٢٥- فى النقد الأدبى د/ شوقى ضيف – ط الرابعة دار المعارف بمصر.

٢٦- فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش – ط مطابع سجل العرب بالقاهرة – الناشر دار المعارف سنة ١٩٧٩م.
٢٧- قضايا الشعر المعاصر .نازك الملائكة – مكتبة النهضة بيروت سنة ١٩٦٧م.
٢٨- المجتمع فى شعر أحمد الزين – عبدالرحمن خليل إبراهيم – ط المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة ١٩٦٤م.
٢٩- مجلة عالم الفكر – المجلد الخامش عشر – العدد الثانى يوليو أغسطس سبتمبر سنة ١٩٨٤م والمجلد التاسع عشر العدد الثالث أكتوبر نوفمبر ديسمبر سنة ١٩٨٨م .
٣٠- مجلة عالم المعرفة –الإسلام والشعر د/ سامى مكى العانى –عدد يونيو سنة ١٩٨٣م .
٣١- المجلة العربية العدد (٨١) السنة الثامنة سنة ١٩٨٤م.
٣٢- مجلة فصول –المجلد السادس العدد الثانى (يناير فبراير مارس) سنة ١٩٨٦م ، والمجلد التاسع عشر العدد الثالث (أكتوبر نوفمبر ديسمبر) سنة ١٩٩٨م.
٣٣- مطالعات فى الشعر المملوكى والعثمانى د/ بكرى شيخ أمين – منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان ط الثالثة سنة ١٩٨٠م.
٣٤- مع الشابى فى ديوانه أ/ حلمى عبدالهادى ط أولى سنة ١٩٨٧م دار الفكر عمان
٣٥- مقالات فى النقد الأدبى د/ محمد مصطفى هداره – ط مطابع دار القلم سنة ١٩٦٤م .
٣٦- نطرات فى الأدب والنقد عبدالرازق البصير – كتاب العربى الكتاب الثامن والعشرون يوليو سنة ١٩٩٠م.
٣٧نظرية العلاقات أو النظم بين عبدالقاهر الجرجانى والنقد الغربى الحديث د/ محمد نايل –دار الطباعة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٦٤م .

٣٨- نظرية الفن المتجدد وتطبيقها على الشعر د/ عز الدين الأمـــين ط الثانيـــة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م.

٣٩- نقد الشعر : قدامة بن جعفر –تحقيق وتعليق د/ محمد عبدالمنعم خفاجى – دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٤٠- الوافى فى علمى العروض والقوافى د / ابراهيم ابراهيم جادو –ط الثانية ســـنة ١٩٧١م مطبعة السعادة .